

حملة تفوت ولا شعب يموت

المجلس الأعلى للثقافة

حملة تفوت ولا شعب يموت

دراما تاريخية من الكوميديا الشعبية

(مسرحية)

تأليف : نعمان عاشور

تقديم : د . أحمد سخسوخ



٢٠٠٢

المجلس الأعلى للثقافة

« حملة تفوت ولا شعب يموت »

مسرحية

تأليف : نعمان عاشور

تقديم : د . أحمد سخسوخ

الطبعة الأولى ٢٠٠٢

إدارة التحرير والنشر :

١ ش الجبلاية بالأوبرا

الجزيرة – القاهرة

ت : ٧٣٥٢٣٩٦

فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤

E. Mail : asfour @ onebox. com

(إن الحياة التى لا يتم فحصها

غير جديرة بأن يحياها الإنسان)

سقراط

تقديم :

د. أحمد سخسوخ

حين وقف بونابرته أمام عظمة الحضارة المصرية القديمة ، وجه مدافعه الثقيلة إلى أنف أبى الهول « فطيرها أو « ليكسر أنفه » قبل دخوله إلى الجيزة وأبواب القاهرة فى معركة لم تستمر أكثر من ثلاثة أرباع الساعة ، وأصبح عدم وجود أنف أبى الهول دليلاً على بربرية الاستعمار الفرنسى الذى جاء ومعه ستة وثلاثين ألف جندياً ومائة ثمانية وأربعين عالمًا ومهندساً وفناناً وأديباً وطبيباً .

وقد أصدر بونابرته بعد دخوله مصر مرسوماً يعلن فيه إسلامه وإسلام رجاله واحترامهم للقرآن العظيم .

وفى القاهرة سكن بونابرته فى بيت محمد بك الألفى بالأزبكية ، وبعدها ارتدى العمة والقفطان ، ولكنه لم يستطع أن يستمر أكثر من عام وأربعة أشهر حتى رحل إلى فرنسا ، وتولى بعده كليبر ولكن حلبى قتله ، وبعده تولى مينو الذى رحل بجنوده فى أكتوبر من عام ١٨٠١ بفعل المقاومة المصرية بقيادة شيوخ وعلماء الأزهر الشريف ، تلك الحملة التى لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات وواحد وعشرين يوماً .

وقد أثر الجبرتى بوصفه لهذه الفترة التاريخية وما سجله عنها من بطولات ووقائع فى وجدان الطفل نعمان عاشور الذى عثر على كتابات الجبرتى فى مكتبة جده ، والتى انتقلت إلى منزل والده بعد وفاة الجد . وظلت هذه البطولات تصيغ وجدان نعمان عاشور طفلاً وحبيباً وناضجاً وكهلاً ، فكتب فى أوائل الثمانينيات كتابه الفخم « شعب مصر » يصور فيه صفحات درامية من تاريخ مصر على لسان الجبرتى ، وقبل أن يرحل عن عالمنا بشهرين كان قد أكمل مسرحيته الأخيرة « حملة تفوت

ولا شعب يموت » عن فترة الاحتلال الفرنسى لمصر والمقاومة الشعبية بقيادة شيوخ وعلماء الأزهر ..

وبعد أن أفرغ نعمان عاشور ما شغل فكره ووجدانه فى هذه المسرحية ، استراح من عناء رحلة طويلة ترك فيها ما يضىء خشبات مسارحنا بعد أن حاصرته المرارة بما وصل إليه حال مسرحنا المصرى .

- ٢ -

جاء نعمان عاشور إلى الدنيا من « ميت غمر » فى نهاية العقد الثانى من القرن العشرين عام ١٩١٨ ، وقد مات جده من والده حين كان فى السادسة من عمره ، وهنا ورث والده من أبيه - إلى جانب ثروته - مكتبة كبيرة نقلت إلى منزل العائلة ، و هى المكتبة التى تفتح عليها وجدان نعمان عاشور فى طفولته ، وكانت هذه المكتبة تشغل ثلاث غرف بالمنزل ، جعلت فرصة القراءة لديه متاحة حتى نمت هذه الموهبة لديه مبكراً ، ولكن للأسف بيعت هذه المكتبة بعد سنوات قلائل ، ولم يحتفظ منها سوى بكتاب الجبرتى المكون من أربعة أجزاء ، وهو الكتاب الوحيد الذى نجا من صفقة البيع بسبب زوج خالته الذى استعاره من والده ثم رده إليه ثانية ، فحمد نعمان عاشور الله على ذلك واحتفظ بأجزاء الكتاب الأربعة حتى رحيله فى عام ١٩٨٧ .

وقد بدأ نعمان عاشور تعلقه بالمسرح وهو فى سن السابعة ، بعد أن فتحت السينما أبوابها لأول مرة فى المدينة ، وكانت تقام فى هذه السينما الحفلات المسرحية الوافدة من القاهرة ، وقد رأى « عزيز عيد

وهو يقف على باب سينما ميت غمر وقد تعلقت فاطمة رشدى بذراعه ، وكان الرجل قصيراً أصلعاً بلحية سوداء كثة كلحية قسيس ، وكانت فتاة صغيرة جميلة[1] » .

وقد تعرف نعمان عاشور الطفل على فاطمة رشدى من صورها على المجلات ، أما عزيز عيد فكان يتصوره خواجه يصاحب الفرقة التى انتشرت إعلاناتها فى المدينة ، وبعد هذه الليلة بدأ نعمان عاشور يتعلق بفاطمة رشدى أكثر ، وتتبع أخبارها وصورها فى المجلات إلى أن أتيحت فرصة مشاهدتها على المسرح فى مسرحية « النسر الصغير » ، وهنا بدأ اهتمامه بالمسرح ينمو ويكبر .

ولقد كان والده صديقاً شخصياً لنجوم الكوميديا[2] فى ذلك الوقت من أمثال نجيب الريحانى وعلى الكسار وحامد مرسى وحسن فايق شرفنطح والقصرى ، وقد رآهم وهو صغير فى بيت العائلة ، وربطت بينه وبينهم صداقة جعلته يتابع أعمالهم بشغف شديد وباهتمام أشد .

وقد كان والده يحدثه دائماً عن ذكرياته مع سيد درويش وسلامة حجازى ، كما كان يصطحبه هو وأخيه إلى القاهرة كل شهر ليشاهد الكسار والريحانى ، وأحياناً يوسف وهبى وأصبح نعمان عاشور بسبب هذه الأسفار والزيارات إلى مسارح القاهرة يعيش بكل خياله فى جوانب المسرح .

---

١ – نعمان عاشور : المسرح حياتى ، القاهرة للثقافة العربية ، ١٩٧٥ ، ص ١٣

٢– وهى ما أثرت فى كتاباته فيما بعد وأصبحت ملمحاً أساسياً فى أعماله المسرحية كلها .

وحين وصل نعمان عاشور إلى سن الخامسة عشر ، قضى عامين في الإسكندرية ، وهناك بدأ يؤلف للمسرح بعض النصوص التى يعدها للفرقة التى كان يرفع تكوينها مع صديقه محمد طلعت عبد الرحمن بصوته الجمهورى والذى كان يقلد فيه يوسف وهبى ..

وحينما عاد بعد ذلك إلى ميت غمر التحق بمدرسة الصياد الأهليه والمسماه على اسم صاحبها محمد الصياد ، حينئذ تفتح وعى نعمان عاشور على السياسة وعلى الحياة الاجتماعية ، إذ كانت التعليقات النقدية لصاحب المدرسة عن مسرحيات الريحانى التى كان يراها كل أسبوع ، هى نقطة البدء فى النظر إلى علاقة السياسة بالحياة الاجتماعية لدى نعمان عاشور(١) .

وقد كانت لقراءات نعمان عاشور فى روايات الجيب لأعمال تولستوى وإميل زولا وبلزاك أكبر الأثر فى توجهه نحو الواقعية التى شكلت اتجاهه المسرحى فيما بعد ، كما كان لقراءاته لأعمال محمد تيمور وهيكل وسلامه موسى وشوقى وحافظ والحكيم أكبر الأثر فى تكوينه الفكرى .

وحين بدأ نعمان عاشور يمارس الكتابة ، بدأ بالشعر المنثور ، وكان فى الوقت نفسه يحس بميله الجارف للكتابة الاجتماعية والمشاكل الحياتية .

وقد تعلق نعمان عاشور بطه حسين وارتبط تعلقه به تعلقاً بالأدب ، فحين جاء نعمان عاشور إلى القاهرة فى منتصف الثلاثينيات ، وكانت

---

١ - قارن السابق ص ٢٥ وما بعدها .

القاهرة تعج آنذاك بالأحداث السياسية ، وبالتحديد عام ١٩٣٦ ، بدأ نعمان عاشور يتردد على الأحزاب السياسية والأندية ، على بيت الأمة ، والنادى السعدى ، والبيت الأخضر لمصر الفتاة وقاعة الأحرار الدستوريين وغير ذلك ، وبالطبع أثر هذا فى تكوين نعمان عاشور فى ارتباطه بالسياسة والأدب ، وكان أهم مؤثر فى هذه الفترة على وجدانه هو رؤيته لحادث محاولة ضرب طه حسين فى كلية الآداب بواسطة أنصار الأحزاب المعادية للوفد ، وذلك حين روجوا لموقف الأزهر منه بالإلحاد والكفر ، وكان نعمان عاشور ينضم للطلبة المصريين بالجامعة للدفاع عن طه حسين ضد المعتدين عليه ، وقد رأى نعمان عاشور كيف أن طه حسين يبتسم وسط الهتافات المعادية له وضده ، وكان لا يرد عليهم بشىء ، بل كان على النقيض من ذلك يمنع المدافعين عنه من التعرض للمتظاهرين ضده ، ومن هنا أعجب نعمان عاشور اعجاباً شديداً بطه حسين ، وأصبح هو كل شىء فى حياته ، وجعل هذا نعمان عاشور ينصرف كلية لقراءة الأدب ، خاصة ما كان يصدر عن طه حسين [١] .

وقد التحق نعمان عاشور بكلية الآداب فى القسم الذى كان يرأسه طه حسين ، وهو قسم اللغات القديمة اللاتينية واليونانية ، لكنه سرعان ما تحول إلى قسم اللغة الإنجليزية لتفوقه فيها .

وفى السنة الثانية بالكلية درس نعمان عاشور مادة الدراما على يد أساتذة أجانب ، كما درس أعمال بعض المسرحيين والشعراء الكبار من

---

١ - قارن السابق ، ص ٤٢

أمثال شكسبير وأبسن وتشيكوف وشو وأرسطو وبيرون وشيللى وكتيس وورد زورث وملتون وكولردج .

وبجانب دراسته للمسرح والشعر بدأت تتعمق اهتماماته بالأفكار الاشتراكية ، وكان هذا من تأثير أستاذه الإيرلندى « مستر هاورث » .

وفى منتصف الأربعينيات اشتدت فى مصر موجات الأفكار الاشتراكية مما كان لها أكبر الأثر على تكوين نعمان عاشور الفكرى ، وقد ساعد على انتشار هذه الأفكار ، كما يقول نعمان عاشور : « تطور الحركة الوطنية المصرية ذاتها فى الصراع ضد الملكية والاستعمار المحتل المساند لها وسوء الأوضاع الاقتصادية التى صاحبت الحرب لمدة خمس سنوات مما دفع بوعى اجتماعى غامر جديد تلازم مع الصراع السياسى الداخلى ضد الملكية والاقطاع »(١) .

وقد ارتبطت هذه الدعوى بالمثقفين فى العالم كله وموقفهم المضاد من الحركة النازية ، كما انتشرت فى مصر الكتب المترجمة من الاتحاد السوفيتى كرد فعل لانتصاراته على الهتلرية ، وبوصفه دولة حليفة تعمل على دحر النازية ، وهى العدو المشترك للإنجليز والأمريكان (٢) .

وقد أثر الفكر الاشتراكى فى وجدان وفى تركيبة نعمان عاشور الفكرية ، كما يتضح فى جميع أعماله المسرحية التى كتبها فيما بعد فى محاولته لتصوير تناقضات الواقع الاجتماعى واستشرافه للمستقبل من خلال قراءته للواقع الحاضر / المستقبل فى مسرحياته .

---

١ - السابق ص ٥٦

٢ - قارن السابق ص ٥٧ وما بعدها .

ومما أثر في تكوينه الفكرى أكبر الأثر علاقته بالدكتور محمد مندور الذى تعرف عليه وهو فى السنة الثانية بالكلية ، والذى كان قد عاد لتوه من باريس ، وقد توطدت علاقته به ، خاصة على قهوة « عبد الله » بميدان الجيزة ، وهناك كان مندور بسيطاً يأكل مع تلاميذه سندوتشات الفول والطعمية والسميط والجبن الرومى مع الشاى بالحليب ، حتى تحولت القهوة إلى ما يشبه الحى اللاتينى بباريس مع الفارق ، إذ أن القهوة كانت عامرة بالأدباء والكتاب ومريدوهم ، وقد كانت لهذه القهوة تاريخ طويل وفضل كبير فى خدمة الحركة الثقافية[١] ، وقد كان نعمان عاشور قد تعرف على قهوة عبد الله عام ١٩٣٦ قبل دخوله الجامعة بثلاث سنوات ، وكان أيامها فى المدرسة الخديوية الثانوية بحى السيدة زينب ، وكان قد اشترك فى مظاهرات عام ١٩٣٦ الطلابية التى خرجت من السيدة زينب إلى الجيزة ، وفى الجيزة قوبلت المظاهرات بوابل من الرصاص ، فلجأ نعمان عاشور إلى أقرب مكان ، وكان هذا المكان هو قهوة عبد الله ، ومن يومها أصبحت قهوة عبد الله هى قراره الدائم الذى صاغ تكوينه الثقافى [٢] ، وكانت هذه المقهى هى أقرب المقاهى إلى الجامعة وأرخصها سعراً وأكثرها احتكاكاً بالحياة اليومية ، وكانت قهوة شعبية رخيصة ، وكان يرتادها أجيال متعددة ومتعاقبة من المثقفين والمفكرين والأدباء ، وفى هذه المقهى توطدت علاقة نعمان عاشور بالدكتور مندور الذى كان تأثيره عليه كبيراً .

وكان سبب تعلق نمان عاشور بمندور - كما يقول - هو « الطريقة التى يترجم بها الشعر الإنجليزى ، فقد بدأها بدراسة مستفيضة عن

---

١ - قارن السابق ، ص ٥٩ وما بعدها .

٢ - قارن نعمان عاشور : مع الرواد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ، ص ١٠

الشعراء ، ثم راح يحلل مرسية جراى الشهيرة فاستغرق عدة شهور من العام فى ترجمتها باشتراكنا معه فى كل بيت وما وراء معانيه ، هكذا عثرت على ما كنت أحسه من قراءة الشعر الإنجليزى ولا أستطيع التعبير عنه أو إدراكه الإدراك الكافى على لسان مندور وفى تفسيراته وشروحه ، وأثر عليّ فى النهاية أن أجد أستاذاً له نفس إدراك وفهم الأساتذة الإنجليز الذين يدرسون لنا ، لكنه يمتاز عنهم بأنه مصرى مثلنا ، فكان الذى اجتذبنى إلى مندور حقيقة هو هذه الأرضية الثقافية الأوروبية التى اكتسبها من بعثته الطويلة فى فرنسا وإنجلترا ، والتى كانت تنطق بها محاضراته وجلساته فى ريفيته الشرقاوية الأصيلة »(١) .

وقد ازداد تعلق نعمان عاشور بالدكتور مندور حين كان نعمان يكتب فى مجلة الفجر الجديد فى أواسط الأربعينيات وحين صودرت هذه المجلة ، دعاه الدكتور مندور ليكتب فى صوت الأمة ، وهنا بدأ نعمان يكتب فى صفحتها الأخيرة المخصصة للكتابة الأدبية والثقافية القصص القصيرة وتلخيصات لبعض الروايات العالمية وبعض ترجماته الأدبية ، وكما يقول نعمان عاشور : « وكان مندور شديد الاهتمام بما أقدمه فاعترف أيامها ولأول مرة بأننى أديب موهوب ونصحنى أن أتجه للأدب وأبتعد عن السياسية ، وهذه النصيحة لم آخذ بها إلا متأخراً بعد عام ١٩٤٨ ، ولكن على أثر ما تعرضت له من وجوه الأضطهاد »(١) .

١- نعمان عاشور : المسرح حياتى ، مصدر سابق ، ص ٦٠

١- نعمان عاشور : مع الرواد ، مصدر سابق ، ص ٦٤

وكان نعمان عاشور قد قبض عليه وأودع السجن عام ١٩٤٥ مع أسرة تحرير مجلة الفجر الجديد من قبل بتهمة كتابته لمقال عن ستالين يمجد فيه بطولاته ، وهو بذلك يصف نفسه – وهذا ما يبرر تحوله عن السياسة فيما بعد – بأنه – كما يقول – « إنسان لا طاقة له على العنف ثم أننى مفتوح بحيث لا أستطيع أن أخفى سراً أو أدارى موقفاً التزم به[١] » .

وقد قبض عليه منذ منتصف الأربعينيات حتى نهايتها أكثر من ثماني مرات ، ولهذا بدأ يجد خلاصه فى الأدب ويبتعد عن النضال السياسى ، لكن – بعد ذلك– لم يستطع أن يخفى موقفه السياسى فى أعماله الدرامية .. وهنا يستشهد نعمان عاشور بموقف برناردشو : « أما كيف جاء هذا التحول المباغت الجارف نحو المسرح ، فهو الشىء الذى لم أستطع إدراك كنهه أيامها ، وإن كنت قد تبنيته فيما بعد حين قرأت كتاباً عن برناردشو أورد فيه مؤلفه قصة انفصال برناردشو عن الكفاح السياسى مع الجماعات الفيبيان الاشتراكية البريطانية ، ذلك أن شو من شدة حماسه للاشتراكية كان يندفع إلى المظاهرات السياسية التى تقودها جماعته لنصرة قضية الاشتراكية فى بريطانيا ، فإذا به يرتطم بالبوليس ويساق إلى السجن ويكتشف فى داخله أنه غير كفء لهذا اللون من ألوان الصراع الحيوى ، فإنه بعد الخروج من السجن يعيد تخطيط نضاله وينتهى إلى أنه خلق كاتباً ولم يخلق محرضاً سياسياً [٢] » .

١– نعمان عاشور : المسرح حياتى ، مصدر سابق ، ص ٧٤

٢ – السابق ص ٨٨ – ٨٩

وهنا وجد نعمان عاشور خلاصه في المسرح ، وكانت مسرحية « المغماطيس » التي كتبها عام ١٩٥٠ أولى تجاربه الناضجة والمكتملة في المسرح والتي حملت بكارة أفكاره التي عالجها ونثرها في أعماله بعد ذلك .

- ٣ -

كتب نعمان عاشور مسرحية « المغماطيس » عام ١٩٥٠ ، وكان قد عين في هذه الفترة باحثًا اجتماعيًا في وزارة الشئون الاجتماعية ، وبعد الثورة عين د . زهير جرانه وزيراً للشئون الاجتماعية ، ولسابق معرفة نعمان به ، فقد انتدبه مسئولاً عن الشئون الصحفية والفنية والإشراف على نشاط وجهود المسرح القومي الذي كان تابعًا آنذاك لوزارة الشئون الاجتماعية ، وبذلك أتيحت له الفرصة كاملة للارتباط بالمسرح وتسخير كل طاقاته له ، فبعد المغماطيس تتابعت أعماله فكتب الناس إللي تحت ، وعفاريت الجبانة ، والناس اللي فوق ، وسيما أونطه ، وصنف الحريم ، وعيلة الدوغري ، وثلاث ليال ، ووابور الطحين ، وعطوة أفندي قطاع عام ، وبلاد بره ، وسر الكون ، و الجيل الطالع ، وبشير التقدم ، وبرج المدابغ ، ووكالة نحن معك ، وإثر حادث أليم ، ثم حملة تفوت ولا شعب يموت التي ننشرها بين دفتي هذا الكتاب وهي آخر ما كتب نعمان عاشور .

ورغم أن نعمان عاشور كتب المغماطيس عام ١٩٥٠ إلا أن فرقة المسرح الحر قدمتها على خشبة المسرح عام ١٩٥٥ من إخراج إبراهيم سكر ، وبعد إسبوع واحد من عرضها بدأ نعمان في كتابة مسرحية « الناس اللي تحت » وقدمتها فرقة المسرح الحر أيضًا

بعد عرض « المغماطيس » بعام من إخراج كمال ياسين ، وبعدها انتهى نعمان عاشور من كتابة مسرحيته الثالثة « عفاريت الجبانة » التى أخرجها نبيل الألفى ، ثم « الناس إللى فوق » التى أخرجها للمسرح القومى سعيد أبو بكر ، ومن هنا بدأ يتأكد وجود نعمان عاشور فى الواقع المسرحى كمؤسس لتيار الواقعية الجديدة .

وإذا كان نعمان عاشور فى مسرحيته الأولى « المغماطيس » يتحدث عن بداية ظهور طبقة طفيلية جديدة من أثرياء الحرب العالمية الثانية ومابعدها ، فإنه فى « الناس اللى تحت » كان يعنى بالفترة اللاحقة لفترة مسرحية المغماطيس ، وهى بين نهاية الحرب العالمية الثانية وثورة ١٩٥٢ بما فيها من تناحر طبقى ، وهى المسرحية التى تدلل على أن مصر الجديدة رمز لمصر ما بعد الثورة التى هى تطور طبيعى لمصر القديمة رمز ما قبل الثورة .

وقد كانت مسرحية « الناس اللى فوق » تتمة لهذا الرصد التاريخى للمراحل الاجتماعية ، إذ كانت المسرحية تصور أخلاق طبقة انتقلت من الحضيض إلى القمة وتعنى بقضية التغيرات التى أحدثتها ثورة ١٩٥٢ فى تكوين المجتمع الطبقى .

وكانت مسرحية « عفاريت الجبانة » مستلهمة من أحداث حقيقية وقعت لأحد أقارب نعمان عاشور وكان ضابطاً فى حرب ١٩٤٨ بفلسطين وحرب ١٩٥٦ ببورسعيد ، وقد لازمه المؤلف بعد عودته محطماً فى المستشفى العسكرى وبهذه الطريقة أكدت هذه المسرحية على قدرة نعمان عاشور فى التفاعل مع الواقع الحى .

وفى « بلاده بره » ينتهى العالم القديم ليحل محله عالمًا جديداً بكل علاقاته نتيجة للتغير الجذرى الذى طرأ على المجتمع ، وفى « عيلة الدوغرى » نحس بصرخة نعمان عاشور التحذيرية ضد الطبقة الانتهازية المتطلعة وضد التسلق من طبقة إلى أخرى ، وقد كشفت هذه المسرحية عن العفن الذى تعيش فيه هذه الطبقة ، وفى « صنف الحريم » نحس بصرخة نعمان عاشور نفسها ضد الطبقة البرجوازية الريفية ، وفى « سيما أونطه » يحذرنا من مدعى الفن ، وفى « وابور الطحين » يزداد تحذيره من طغيان رأس المال فى المجتمع الريفى ، وفى مسرحية « برج المدابغ » يؤرخ نعمان عاشور لمرحلة السبعينيات حيث تنقلب الأمور بعد أن يلعب الانفتاح الاقتصادى دوراً كبيراً فى بنية العلاقات الاجتماعية ، والتى تمسح بها بقايا الاشتراكية التى حاول النظام تأسيسها فى نهاية الخمسينيات بقوانينه الاشتراكية .

وقد قارن بعض النقاد من أمثال أحمد عباس صالح ومحمد مندور ورجاء النقاش أعمال نعمان عاشور بأعمال تشيخوف وبرنارد شو وجون أوكيزى ، ومن هنا لُقب نعمان عاشور برائد الواقعية الجديدة والتى تتشكل عناصرها من عناصر ريحانية (نسبة إلى نجيب الريحانى) وعناصره حكيمية (نسبة إلى توفيق الحكيم) بالإضافة إلى اهتماماته السياسية فى فترة الأربعينيات والتى أثرت على أفكاره المسرحية ، وبذلك كان « مسرح نعمان عاشور من بدايته إلى نهايته يقدم رؤية ثاقبة ، وتوثيقًا فكرياً للحركة الاجتماعية منذ بداية الخمسينيات وحتى أواسط الثمانينيات ، ولقد تجاوز التوثيق إلى التنبؤ والتحذير ، بحيث يمكن أن تكون تنبوءاته ورواءه فى مسرحه حادة للكشف عن الأسباب

التاريخية لما يعانيه المجتمع المصرى اليوم من ويلات يأتى فى مقدمتها الإرهاب الدينى والجريمة المنظمة والمافيا المستقرة [1] » .

وقد أكد نعمان عاشور بأعماله المسرحية منذ عرض المغماطيس ثم الناس اللى تحت على اتجاه جديد فى المسرح يقدم باللغة العامية فى مقابل فصحى توفيق الحكيم ، كما نزلت أفكار الحكيم التجريدية لدى نعمان عاشور إلى أرض الواقع وطينه ، هذا بالإضافة إلى أن بنية المسرحية التقليدية الأرسطية لم تشغل نعمان عاشور كثيراً فمن الصعب « فى مسرحه أن تبحث عن عقدة وحل ، إنما يسيطر على مسرحه حالة عامة ، وضع معين تتحرك داخله عدة شخصيات تحمل من تناقضاتها الذاتية وتناقضاتها مع بعضها ، ومع الوضع الذى تعيش فيه ما يجعل التصادم طبيعتها ، ويملأها بالغنى فى الحركة ، ولكن هذه الحركة لاتدور فى شكل استاتيكى ، بل يتغير فيها الوضع ذاته أو الحالة ، وتتغير الشخصيات لترهص بحركة جديدة بمقومات أخرى وقوانين مختلفة ، ونعمان عاشور مدين بهذه الحرية الصعبة لتشيكوف »[2] .

ويؤكد أحمد عباس صالح على أن نعمان عاشور كان أكثر الكتاب المصريين تأثراً بطريقة تشيخوف وأقربهم إلى استعمال منهجه ، ولكن لهذا الاستعمال خطورته ، إذ حين لا يكتمل حس الكاتب بالحالة

١- سعد أردش : مجلة تياترو ، العدد الثانى ، إبريل ١٩٩٣ ، مقالة بعنوان (نعمان عاشور رأس الجيل الطالع) ، ص ٢٣ .

٢- أحمد عباس صالح : مقدمة مسرحية بلاد بره لنعمان عاشور ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، بدون عام ، ص ١٦

التى يريد التعبير عنها تطيش بذلك كل سهامه ، وبذلك لا نجد كاتبًا تتفاوت أعماله بين الأصالة وبين العادية ، بل الضعف أحيانًا مثل نعمان عاشور[1] .

ونظراً لاختفاء الصنعة الدرامية فى أعمال نعمان عاشور ، لذا فإن أحمد عباس صالح يسمى مسرحه بـ مسرح الشخصية ، أى أنه مسرح يتمركز بشكل أساسى حول الشخصيات ، بينما يتراجع الحدث إلى المستوى الثانى بعد الشخصية ، وإن كانت أعمال نعمان عاشور لاتدور حول شخصية واحدة ، بل مجموعة من الشخصيات والتى تتمثل فى مجموعها حركة المجتمع فى تحولاته بشكل عام .

ولا يكمن بهذا تميز مسرح نعمان عاشور فى « صدق محاكاته للواقع – كما يذهب البعض (...) ولكن تميزه الفنى يكمن فى قدرته على إيهامنا بأنه يقدم لنا مادته الخام (عناصر الواقع) كما هى دون تدخل منه ، وهكذا فإن نعمان عاشور قد يبدو فى ظاهره بسيطاً وسهلاً للغاية ، لكنه فى حقيقة الأمر صعب وممتع[2] » .. فالمتتبع نعمان عاشور فى جملته يدرك أنه نوعًا من التأريخ الاجتماعى الذى يعكس تأثير التحولات الاجتماعية المختلفة على الأفراد دون أن يتحول هذا التأريخ إلى المباشرة أو الخطابية أو الجفاف الفكرى فى المعالجة ، ونعمان عاشور يشعر بنبض الشارع وبذلك تجىء شخصياته من لحم ودم ، لها آلامها وأحلامها مصاغة فى حوار فنى يعبر عن أدق المشاعر

١- قارن السابق ص ١٩ وما بعدها .

٢- نهاد صليحه : مجلة القاهرة ، يونيو ١٩٨٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مقالة بعنوان : (معنى الواقعية فى مسرح نعمان عاشور) .

في مواقف الشخصية الدرامية المختلفة ،[1] وهذا ماجعل ويجعل نعمان عاشور حاجزاً بيننا رغم رحيله وهو الذى كان يعبر فى أعماله عن مصرنا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وثورة ١٩٥٢ وتحولاتها وانتصاراتها وانكساراتها حتى رحيله جسديًا فى عام ١٩٨٧ وهو الذى ما يزال يضىء مسارحنا حتى اليوم .

- ٤ -

لقد قرأ نعمان عاشور منذ نعومة أظفاره وهو فى سن العاشرة من عمره أعمال الجبرتى الأربعة أجزاء من طبعة بولاق الشهيرة ، وظل طيلة حياته يعيش أسيرا للسجل التاريخى الذى سجله الجبرتى بالأحداث والوقائع والبطولات والصور الإجتماعية والوقائع التاريخية ، وظل تاريخ الجبرتى يمثل أكبر ركيزة فى خيال نعمان عاشور فى شبابه ، ثم اكتشف فى منتصف العمر فى شخصية الجبرتى مايفوق تصوراته الطفولية وسذاجات صباه وشطحات شبابه ، فليس الجبرتى مجرد وقائع تاريخية وإنما هو الحياة الواقعية لشعب مصر ، إذ رأى فى تاريخ الجبرتى كافة أبعاد الشخصية المصرية عبر القرون ، وبدأ نعمان عاشور ينقب عن الشخصيات المصرية التى تناولها المسرحيات التاريخية ، وقد بدأها برفاعه الطهطاوى فى بشير التقدم ، واختار من بينها الجبرتى وعبد الله النديم ومحمد فريد ، ولكنه وقف عاجزاً أمام شخصية الجبرتى وحياته ، ولم يعثر نعمان عاشور على شخص الجبرتى وحياته فى كل

---

١ - قارن د . محمد شيحه : مجلة تياترو ، مصدر سابق ، مقالة بعنوان : (مقدمة لكتاب لم يكتب فى التعريف بنعمان عاشور) ص ٢٤ وما بعدها .

ما كتبه ، وحين وقف نعمان على أعتاب الشيخوخة ارتد إلى الجبرتى واكتشف فيه ركائز موضوعية ثابتة عن حياة شعب مصر ، كما اكتشف فى تناوله لشخصية الجبرتى - فى العمل الذى تناول فيه شخصية الجبرتى بعنوان : « شعب مصر - صفحات درامية من تاريخ الجبرتى[1] » ، الكثير من جوانب حياته الدرامية الشخصية ، فقد أرخ الجبرتى (١٧٥٤ - ١٨٢٥) لمصر أثناء الصراع بين إنجلترا وفرنسا فى الشرق ، واستكمل تاريخه شاهداً على الغزو الفرنسى وبداية ارتباط مصر بالحضارة الحديثة ، وما سجله الجبرتى يعتبر أساس لبداية تاريخنا الحديث[2] ، إذ كشكل فكرة إحتلال نابليون لمصر شكلاً من أشكال الصراع بين فرنسا وإنجلترا بعد أن اتخذت الدول التى تتبع الملكية فى أوربا موقفًا مضاداً من الثورة الفرنسية التى قضت على الملكية فيها ، وقد حققت فرنسا انتصارات على إيطاليا والنمسا وبلچيكا والجزائر ، ولكى يكمل نابليون انتصاراته على إنجلترا قرر أن يحتل مصر وفى الوقت نفسه يحصل على جزء من أملاك الدولة العثمانية لكى يجعل له السيادة على البحر المتوسط ، خاصة وأن إنجلترا سيطرت على طريق رأس الرجاء الصالح ، وفى محاولة لحماية المتاجر الفرنسية فى مصر من سيطرة المماليك أصحاب الصلات مع إنجلترا ولضمان مرور تجارتها من أوروبا والهند عن طريق مصر وتهديد إنجلترا فى الهند ، وهنا بدأ التجهيز للحملة بقيادة نابليون فى محاولة لطرد الإنجليز من ممتلكاتهم فى الشرق والقضاء على مراكزهم التجارية فى البحر الأحمر .

---

١ - صدر هذا الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨١ فى ٤٠٩ صفحة .

٢ - قارن السابق ص ٥ وما بعدها .

وقد صدر قرار تولى بونابرت قيادة الحملة فى ١٢ إبريل عام ١٧٩٨ ، وتألف جيش الحملة من ٣٦ ألف جندى وأخذ معه ١٤٨ عالمًا وأديبًا ومهندسًا ، وقد وصلت الحملة إلى الإسكندرية فى أول يوليو عام ١٧٩٨ ، وقد توخى نابليون السرية فى إعداده لهذه الحملة واحتل الإسكندرية يوم ٢ يوليو ، وتحرك ناحية القاهرة بعدها بيوم واحد بعد أن هزم مراد بك فى معركة قرب شبراخيت يوم ١٣ يوليو ، كما التقى نابليون بمراد بك ثانية فى معركة إمبابة / الأهرام حتى هزم الأخير وانسحب إلى الصعيد .

وفى القاهرة قرر العلماء والمشايخ تسليم المدينة ، ولكنهم أرسلوا لنابليون يسألونه عن مقصده ، وقابلهم نابليون وطمأنهم من مقصده ، حيث ماجاء إلا لتأديب المماليك ، كما أنه يعتزم أن يضع أساس لحكومة من العلماء والفضلاء ، وأظهر احترامه للعقيدة الإسلامية ، وحينما اصطدم بمصاعب كبيرة فى مصر والشام رحل إلى فرنسا بعد أن كان يتطلع إلى الفرصة السانحة هناك لتسلم مقاليد الحكم ، وكان ذلك فى ١٦ أكتوبر عام ١٧٩٩ ، وتولى كليبر القيادة من بعده ، ولكنه لقى مصرعه على يد سليمان الحلبى فى يونيو من عام ١٨٠٠ ، وتولى بعده مينو القيادة ولكن الفرنسيين تعرضوا إلى مقاومة المصريين وحصار الإنجليز الذى وضعوا مع العثمانيين خطة لمهاجمة الفرنسيين فى مصر ، وهنا تم جلاء الفرنسيين عن مصر فى سبتمبر من عام ١٨٠١[(١)] .

---

١ - قارن د. عبد الرحيم عبد الرحمن فى « تاريخ العرب الحديث والمعاصر » ، دار الكتاب الجامعى ١٩٩٠ ، و ج كريستوفر هيرولد ترجمة فؤاد أندراوس فى « بونابرت فى مصر » مكتبة الأسرة ١٩٩٨ ، وعبد الوهاب أحمد عبد الوهاب فى « تاريخ العرب الحديث » ، الإمارات العربية ، دبى ، ١٩٨٧

وهذه هى الفترة التى اهتم بتسجيلها نعمان عاشور فى مسرحيته الأخيرة « حملة تفوت ولا شعب يموت » كما سجلها فى كتابه « شعب مصر » وإن كان قد عالج بعد هذه الفترة تاريخ مصر موثقًا لعصر محمد على منذ توليه الحكم فى عام ١٨٠٥.

وقد بدأ نعمان عاشور الأحداث في كتابه « شعب مصر » فى منزل الجبرتى ببولاق بين زملائه وتلامذته فى عهد المماليك الظالم أيام الطاعون ، وبعد أن طاف الجبرتى بالديار المصرية بعد وفاة والده ، ثم ننتقل إلى الأزهر حيث الجبرتى وتلامذة الشيخ مرتضى الزبيرى يلقفون فى درس أستاذهم الذى يحاول أن يفصل بين المعرفة والسياسة إلا أن بعض تلامذته مثل « الصبان » يعترضون عليه ، فلا يمكن أن يصمت العلماء تجاه ما يحدث والناس جياع فى الطرقات ، ويعترض الشيخ مرتضى على هذا المنطق فيغادر الدرس وخلفه الجبرتى ، ونعرف أن الشيخ قد أعطى ثقته للجبرتى وطلب منه أن يترجم لأعلام المائة سنه المنعدمة من بين رجالات مصر والحجازيين ، وأن يضع كتابًا فى التاريخ يلم فيه بأهل العصر وأحداثه ، ولم يكن التأليف فى هذا العصر إلا مجرد شروح على متون الكتب ، إذ لم يتعود أحد أن يكتب التاريخ ، والجبرتى من وجهة نظر الشيخ الخشاب أقدر على هذه المهمة من كل تلامذة الشيخ مرتضى ، إذ درس على يد والده الشيخ حسن الجبرتى ، كما أن عبد الرحمن الجبرتى يعرف أهل مصر وطبائعهم ، وقد طاف آفاق البلاد ، وهنا يبدأ عبد الرحمن الجبرتى بالفعل فى كتابةالتاريخ والشيخ الحريرى يتبعه كظله ويساعده الشيخ الخشاب .

وفى مكتب الجبرتى بدار بولاق نجده يدون التاريخ ويلقى بدروسه على تلامذته ، وهنا يزاوج نعمان عاشور بين التاريخ المسجل الذى يمليه الجبرتى وبين دramية الواقعة التاريخية نفسها ، والتى تتلو توثيقها بعد أن يتابع الحريرى تسجيل التاريخ تعليقًا على حوادثه ، وندرك كيف أن الجبرتى لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويسجلها ويدقق فيها ويعلق على صغيرها وكبيرها .

وفى اجتماع مشايخ وعلماء الأزهر فى منزل إبراهيم بك يأتى فارس فى ملابس البحرية وهو مرسل من قبل محمد كريم حاكم الإسكندرية ومعه رسالة للبكوات وللوالى وللمشايخ ولأهل مصر يخبرهم بأن مركب إنجليزية قد احتلت الميناء والتقى قوادهم بحاكم الإسكندرية بعد أن جاءوا للتفتيش على الفرنسيين ، وقد عرض الإنجليز مساعدتهم للمصريين ضد الفرنسيين ، ويؤكد الفارس على أن هناك إشارات تدل على قدوم الفرنسيين إلى الثغر ، ثم تأتى الأخبار على لسان زوجة إبراهيم بك بأن الفرنسيين نزلوا إلى الإسكندرية وشعبها يقاومهم بقيادة محمد كريم(١) .

ثم ينتقل الخبر لأهالى القاهرة بأن الفرنسيين نزلوا على البر كله قاصدين الأهرامات وأبى الهول ، هنا يغلق الجميع متاجرهم فتهيم الناس راجعة على وجوهها فى كل مطرح ، ويسجل الجبرتى :

« وحل عام ١٢١٣ هجرية ، وهى أولى سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور

---

١ - قارن نعمان عاشور : « شعب مصر » مصدر سابق ، ص ٩٩ وما بعدها .

وترادف الأمور وتوالى المحن واحتلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب »[١] .

وفى اجتماع الأمراء بالقصر العينى يأخذون بمشورة الجبرتى فيستعد مراد بك لملاقاة الفرنسيين كما يحصل الجبرتى على المرسوم الذى وزعه بونابرت حين نزوله إلى الإسكندرية والذى يبدأه باسم الله ويدعى فيه أن الفرنسيين مسلمون .. ويشرع كبار البلد فى نقل أمتعتهم إلى الأرياف ، ويخاف أهل البلد فيهجمون على الأسواق والدكاكين وبيوت الأغنياء لنهبها وتجتمع الأهالى حول نقابة الأشراف التى يرأسها الشيخ عمر مكرم وهم يحملون النبابيت والعصيان والطبول والزمور بالآلاف ، وهنا تخلو البلد ولا يعد فيها « حس ولا حركة » فالطرق والأسواق مقفرة » ولا جنس ابن يومين « فى الشوارع » فلم يعد فى المنازل غير النساء والصغار وضعفاء الرجال ، وقد تحول العالم كله – كما يقول الجبرتى – إلى القلعة ، حيث يجمع عمر مكرم الأهالى نحو هدف واحد هو مصر ، وهنا يخطب فيهم بقوله :

« يا أخوانى .. يا أهل مصر ، اسمعوا وعوا ، اقترب الكرب وحلت ساعة الحرب ، ولابد من مواجهة العدو الواحد الذى يجمعنا قتاله ، فالنزول النزول إلى بولاق [٢] » .

---

١ – السابق ص ١٠٩

٢ – السابق ص ١١٨

ولكن الفرنسيين يدخلون بالقرب من الأهرام ويضربون أبى الهول بالمدافع ، ويمتلىء الجو بالبارود مثل الغمامة الثقيلة ، وتقع مصر فى أيدى الفرنسيين ، ويهرب الأمراء والمماليك إلى الصعيد وإلى بحرى ، ومن الأزهر الشريف يرسل الشيوخ والعلماء رسالة إلى نابليون نيابة عن الأهالى ، فيطلب نابليون المشايخ إلى سارى عسكر للمشاورة والحوار ، وهنا ينبثق عن ذلك الديوان الذى تناط به كل الأمور ويديره عشرة من المشايخ فى محاولة للسيطرة على مشاعر الأهالى وكسب ود العلماء والمشايخ ، وبعد ذلك يتخذ بونابرت من بيت أيوب بك الذى يطل على بحيرة الأزبكية - مسكنًا له - ولا ينفصل الجبرتى عن كل هذه الأحداث ، ولكنه ينزل إلى الواقع ليشارك حياة الناس .

ووسط هذا كله من مجريات الأمور والأحداث والوقائع ، وفى سن الرابعة والأربعين ينعم الله على الجبرتى بمولود يسميه خليل ، ولأن عمر مكرم يرفض أن يسير فى ركاب الفرنسيين ، لذا يقرر أن يسافر إلى دمياط ، خاصة بعد أن وقع البعض بينه وبينهم .

وأثناء غيبة نابليون فى الشام تشتد المقاومة فى صعيد مصر على يد مراد بك ، وفى الوجه البحرى على يد إبراهيم بك .

وقد كانت طريقة الجبرتى فى تدوين التاريخ أن يطوف ويجمع ما يشاهده ويسجله فى ملاحظات ، ثم يلحقها ببقية الأسانيد إلى أن يشرع فى الكتابة والتدوين .

وقد شرع الفرنسيون فى وضع كتاب شامل جامع عن مصر ، واستعانوا بما يكتبه الجبرتى ، فى الوقت الذى يدينهم فيه فى محاولة منه لتحرى الصدق والحقيقة .

إذ كان الجبرتى ضد الاحتلال الفرنسى ، وإن كان فى الوقت نفسه معجباً بعلومهم ومعارفهم ، وقد كان نابليون نفسه معجباً بالجبرتى شخصياً .

وحين تتطور الأحداث ويرحل نابليون سراً إلى فرنسا ، يرسل الجبرتى إلى الشيخ عمر مكرم فى دمياط يستدعيه إلى القاهرة بعد أن تغيرت الأوضاع ، وبعد أن عُين « كليبر » بدلاً من بونابرته ، ولكى يكون الشيخ عمر مكرم بجوار أهل المحروسة يقودهم ضد المستعمر .

وحين تولى كليبر الأمور حاول التغطية على سفر نابليون لكى يمر الحدث بشكل عادى ، وهنا يصف الجبرتى ذلك بأنه قد وقع « فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى والفسق مالا يكيف ولا يوصف ، وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك الخلاعة ورزالة الرفاعة بدون أن ينكره أحد على أحد من الحكام أو غيرهم (..) وكان كل إنسان يفعل ما يشتهيه وما يخطر بباله ، وإن لم يكن من أمثاله ، إذا كان رب الدار بالدف ضارباً ، فشيمة أهل الدار كلهم الرقص »[1] والقصد هنا - كما يعلق الجبرتى بعد ذلك - هو « إفساد العامة » ، فإذا كان بونابرته يراعى مشاعر المسلمين والعامة ، فإن كليبر لا يراعى ذلك أبدا .

---

١ - السابق ، ص ١٥٧

وقد اضطربت أحوال البلاد وقامت هوجه ضد الفرنساوية استمرت عشرين يومًا هزت أثارها كيان الفرنسيين ، ومعنى هذا كما يقول الجبرتى :

« أن فيه بلد اسمها مصر أصحابها هما أهاليها ولا يمكن فى يوم من الأيام حيسيبوها لحد تانى يملكها غيرهم مهما تجبر عليهم أو تحكم فيهم ، هيه الناس سلمت للفرنساوية ! الناس طاوعت الأتراك ولا آمنت بالمماليك ! الأهالى كانوا بيحاربوا علشان بلدهم وبلد أولادهم اللى حيعيشوا بعديهم فيها ، هو دا التاريخ[1] » .

وفى وسط هذا كله يأتى خبر مقتل كليبر فى عز الشمس بالأزبكية بعد ضربة حلبى قصده وضربه بخنجر أربع ضربات شق بطنه ووقع على الأرض يصرخ [2] ، وهنا توعد الفرنسيون ضد أهل مصر عن آخرهم .

ثم يتولى « مينو » القيادة وهو يعرف اللغة العربية ، وقد اعتنق الإسلام وتزوج من السيدة زبيدة الرشيدى وهى مسلمة ، وبعد أن سمى نفسه بـ عبد الله مينو ، ورغم كل هذا تزداد الأمور سوءا ، وتفرض الضرائب بكثرة ويغلق الفرنسيون الديوان وينهبون الدور والحوانيت ويغلقوا أفواه العلماء ويسدوا عليهم فرصة الكلام ، وهنا يحاول مينو تهدئة الأمور فيلجأ ثانية إلى العلماء لإصلاح الأحوال .

---

١ – السابق ، ص ١٦٩ – ١٧٠

٢– كتب المؤلف المسرحى ألفريد فرج مسرحية عن هذه الحادثة بعنوان « سليمان الحلبى » قدمت على المسرح القومى عام ١٩٦٥

وإعادة ترتيب الديوان المعطل من جميع طوائف المشايخ المعممين ، ولكن لا يستمر هذا طويلا ، إذ تأتى الأخبار بوصول ١٢٠ مركب إنجليزية متجهين ناحية السواحل المصرية ، وفى الوقت نفسه يتحرك العثمانيون فى البر ، ويصل الإنجليز إلى أبى قير ، وينتصرون على الفرنسيين هناك ، ويشكك الفرنسيون فى المشايخ والعلماء ويأمرون بحبس بعضهم مثل الشيخ عمر مكرم والشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى ، وينتهى الأمر باتفاقيات بين الأطراف المتحاربة على أن ينسحب الفرنسيون من مصر ، وهنا يرسل مينو إلى زوجته زبيدة رسالة يقول لها فيها :

« إلى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة ، وولدنا العزيز سليمان مراد ، أعرفكم أن الأقدار قضت بسفرنا وعودتنا إلى فرنسا ، ويعز علينا أن نترككم بعد هذا العمر القصير ، ولكنها إرادة الله ، ولا راد لقضائه مكروه حصل ، على غير رغبتنا ، فتحملوا والله تعالى يرعاكم وينعم عليكم فى تقبل الأيام بالبشرى والإقبال [1] » .

وبالفعل يرحل الفرنسيون ويرحل مينو دون وداع شخصى لزوجته وابنه ، تحت مراقبة الإنجليز ، وهنا يعلق عمر مكرم على هذا بقوله : « أصبحنا كالحمل فى مأدبة الذئاب » ، و قد خرج الفرنسيون عن مدة ثلاث سنوات وواحد وعشرين يومًا ، وهذه هى الفترة التى عالجها نعمان عاشور فى مسرحيته « حملة تفوت ولا شعب يموت » ، ولكنه فى كتابه « شعب مصر » يستمر متتبعًا كتابات الجبرتى موثقًا لعصر محمد على منذ توليه الحكم فى عام ١٨٠٥ .

---

١ - السابق ، ص ١٩٨

« حملة تفوت ولا شعب يموت » هى صياغة حوارية أتمها نعمان عاشور قبل أن يرحل عن عالمنا بشهرين ، وكان ذلك فى فبراير من عام ١٩٨٧ ، والمسرحية مأخوذة عن مخطوط المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى والذى تحدثنا عنه .

وكان من المفترض أن تدب فى مسرحية « حملة تفوت ولا شعب يموت » الحياة وتظهر على خشبة المسرح فى موسم ١٩٨٧/٨٦ ولكن المسرحية قبرت مع رحيل نعمان عاشور فى إبريل من العام نفسه وبسبب ما أثير حول المسرحية من ضجة أنذاك ، ويقول سمير العصفورى[١] عن هذه المسرحية بأن السيدة سميحة أيوب مديرة المسرح القومى آنذاك قد طلبت من سمير العصفورى تقديم مسرحية « عائلة الدوغرى » لنعمان عاشور ، وهنا بدأت محاورات سمير العصفورى مع نعمان عاشور ، وقد حاولا تكوين فريق عمل لمسرحية من الممثلين ، ولكنهما لم ينجحا فى هذا[٢] ، وبذلك أشار سمير العصفورى

---

١ - انظر تحقيق عرفه عبد الجواد حول هذه القضية والمنشور فى مجلة تياترو إبريل ١٩٩٢ تحت عنوان : (قالوا عنه فى ذاكره السادسة) ص ١٢ وما بعدها ، هذا بالإضافة إلى حوارات تليفونية مع الفنان سمير العصفورى فى منتصف يونيو ٢٠٠٠ عن هذا الموضوع .

٢ - فى حوار تليفونى مع السيدة سميحة أيوب أشارت بالفعل إلى هذا ، ولكنها لم تتذكر الأحداث التى تلت ذلك فيما يتعلق بمسرحية « حملة تفوت ولا شعب يموت » ، إذ أنها لم تكن طرفًا فى اتفاق العصفورى / عاشور حسبما تتذكر بعد مرور ثلاث عشر سنة على هذه الوقائع .

على نعمان عاشور « بفكرة كتاب قديم كان قد نشره هو « شعب مصر » وهذا الكتاب عبارة عن إعداد إذاعي لكتاب المؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتي ، وطلب من نعمان أن يغير صياغة هذا الكتاب في شكل عرض مسرحي موسيقي غنائي شعبي ، وليس في قالب مسرحية تقليدية ، وطلب مني نعمان أن يقوم هو بذاته بعمل سيناريو هذا المشروع وظل يوافيني بمشاهد مختلفة !![1] وقد تطور العمل بموافقة نعمان عاشور على أن يكتب الشاعر أحمد عفيفي أغاني وأشعار المسرحية ، ويؤكد سمير العصفوري على أن نعمان عاشور قد أقر بعض هذه الأغاني والأشعار ، كما طالب باختصار بعضها ، ولكن عرض « حملة تفوت ولا شعب يموت » واجه صعوبات في توفير ميزانية له في المسرح القومي ثم في المسرح الحديث فيما بعد ، وحين رحل نعمان عاشور عن عالمنا في إبريل ١٩٨٧ دون أن يقرأ نص / العرض كاملاً ، هنا أثيرت ضجة حول نص / العرض وكتب الناقد فاروق عبد القادر [2] تقريراً يشير فيه إلى أن المخرج قد أفسد النص بتدخله فيه مع الشاعر أحمد عفيفي ، وانتهى الموقف إلى تجميد نص / العرض دون أن يخرج إلى الحياة ويراه الناس كما رأوا أعمال نعمان عاشور على خشبات مسارح مصر والعالم العربي .

---

١ – عرفة عبد الجواد ، مصدر سابق ، ص ١٢

٢ – في حوار تليفوني مع الناقد فاروق عبد القادر تحدث عما تبقى في ذاكرته إذ أن الأحداث كانت قد مرت عليها ثلاثة عشر عاماً وما يتذكره أنه كتب في هذا الموضوع آنذاك في جريدة الأهالي ، وتلخص موقفه أنذاك في اعتراضه على أن يقدم سمير العصفوري نص نعمان عاشور بشكل مغاير لما كتبه المؤلف .

ونصف « حملة تفوت ولا شعب يموت » آخر ما خطت يد نعمان عاشور ، والذى نقدمه بين دفتى هذا الكتاب هو النص الذى كتبه نعمان عاشور ، وبالطبع نص المؤلف هنا يختلف عن نص العرض الذى كان نتاج ورشة عمل بين الفنان سمير العصفورى والشاعر أحمد عفيفى عن سيناريو الكاتب نعمان عاشور ، ويقول سمير العصفورى فى ذلك :

« لا شك أن المخطط الذى سجله نعمان عاشور بخط يده يمكن تقديمه بتصور مسرحى يختلف بالقطع عن تصورى الشخصى لهذا المخطوط ، فتصورى الشخصى وقد حكم النقاد عليه بالإعدام قبل تقديمه دون محاكمة هو كالتالى : تقديم حكاية نابليون وكليبر ومينو قواد الحملة ، وعلاقة هؤلاء بعلماء وشيوخ الأزهر وتجار وصناع وحرافيش ومماليك القاهرة ، وماحدث بينهم من شد وجذب ، وما فعله « القونبر » من تخريب وماحمله على الحملة من ابتكارات علمية وسحرية صنعت حالة انبهار ، كل هذا كنت أنوى تقديمه فى إطار من الفكاهة الشعبية الموسيقية الغنائية الراقصة [1] » .

وقد عمل سمير العصفورى برؤيته الإخراجية فى النص فى محاولة لإعادة تشكيله على خشبة المسرح ببناء وجماليات مختلفة لإعادة تشكيله على خشبة المسرح ببناء وجماليات مختلفة عن المسرحية الأصلية التى كتبها نعمان عاشور من أصل كتاب « شعب مصر » عن الجبرتى وهنا يرى سمير العصفورى أن الخطأ الذى وقع فيه النقاد هو الفصل بين :

---

١ – عرفه عبد الجواد ، مصدر سابق ، ص ١٣

« روحينا والقطع ما بين العلاقة التى توطدت بينى وبين نعمان قبل أن يرحل بأيام قليلة ، والله يعلم إنى بشهادتى هذه لا أزور ولا أزين لأنى قد اتهمت بأنى قاتل « نبحت » نص نعمان عاشور ، والحقيقة إنى أيضاً وشاهد براءتى هو القتيل وسيشهد نعمان عاشور فى العالم الآخر صدق ما أقول وسيظهر الصدق والكذب متجاوران غفر الله لى ولهم [١] » .

- ٦ -

يختار نعمان عاشور لحظة درامية لبداية مسرحيته ، وهى اللحظة التى احتل فيها الفرنسيون الإسكندرية وأثناء توجههم إلى القاهرة وقبل دخولها ، إذ يُملى الجبرتى التاريخ على تلميذه الحريرى ، فيتحقق الحدث الذى يمليه الجبرتى بالتشخيص على مستوى الواقع حيث ينادى المنادى ومعه الأغا على أهل المحروسة بأن يترك الأهالى بيوتهم ويتدبرون أمورهم ، وهنا يختلط الحابل بالنابل ويأخذ الأهالى احتياجاتهم من الملابس وتحويشة العمر ، ويستخدم نعمان عاشور تقنية ينتقل من خلالها بين الجبرتى الذى يكتب أحداث هذه الفترة وبين تشخيصها درامياً على مستوى الواقع / التاريخى ، حيث يقرأ الشيخ الفقى منشور نابليون الذى يهاجم فيه المماليك ، وأنه ورجاله يعبدون الله ويحترمون القرآن العظيم ، بل يدعى بأنه ورجاله مسلمون مخلصون ، ويصور نعمان عاشور رد فعل الجماهير الذى تأتى لهم أسماع هزيمة إبراهيم بك فى بولاق ومراد بك فى الجيزة وعلى أثر ذلك يهرب بعض

١ - السابق ص ١٢

الأمراء بالحريم والأموال إلى الصعيد والبعض الآخر إلى بحرى ، ثم يعود نعمان عاشور لتصوير الجبرتى وهو يلاحق الأحداث ويمليها على تلميذه الحريرى ، ثم يحققها تشخيصاً مستخدماً هذه التقنية طوال المسرحية ، فيحتل الفرنسيون القاهرة وتلتقى الجماهير حول عمر مكرم ، ويتخفى الحريرى فى صورة نجار ليجمع المعلومات من وسط الجماهير التى تحمل النبابيت والعصى لمحاربة الكفار عسكر الفرنسيين بقيادة عمر مكرم ، لكن الجبرتى يعارض الموكب ، إذ أن الرسول وصحابته كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب ، لا يرفع الأصوات والصراخ والنباح ، إذ يعتبر هذا استشهاد بغير طائل ، ذلك أن بونابرت « مخوف أوروبا بحالها وخادع الإنجليز ومحيرهم » ، لكن موكب الطوائف والجماهير يصر على المقاومة فيتجه إلى بولاق ، ثم ينتقل الحدث إلى قصر بونابرت فى بيته على بحيرة الأزبكية ثم إلى حفل زواج ابن الشيخ الأمير لابنه إسماعيل الخشاب ، وتتواتر الأخبار أثناء الزفاف حيث يقرر الشيخ عمر مكرم السفر إلى دمياط بعد أن تمت وقيعة بينه وبين الفرنسيين من ناحية الشيخ البكرى عن طريق ابنته التى تتصل بهم وتقيم لهم حفلات المجون ، فهى محظية بونابرته ، ثم ينتقل الحدث إلى مجمع العلماء الفرنسيين بالناصرية حيث المعامل وقاعات الرسم والطب والفلك وغير ذلك ، وفيها يدون الحريرى وعرفان كل التفاصيل ليسجلها الجبرتى فيما بعد - والذى يأتى ومعه الخشاب ، ويحاول الفرنسيون أثبات - على لسان توت - أنهم ما جاءوا إلا من « أجل الحضارة ونقل المعرفة وتمدين البلاد ، وأن ننصف أهل البلاد من جور المماليك » . ولكن الخشاب يرد على توت بقوله :

« هذا لا يبرر غزوكم لديارنا ، مصرنا الحبيبة » ، وهذا ما يلخص جوهر العمل الدرامي الذي أراد أن يصوره نعمان عاشور إذ أن الفرنسيين ما جاءوا إلا لتصفية الإنجليز في المنطقة ولكن كانت لهم إضافات في الحياة الحضارية في مصر ، ولم يمنع هذا بالطبع من احتدام المقاومة الشعبية بقيادة الأزهر ضد الغازي الفرنسي ، ويطرح الجبرتي هنا حرية كل طرف في طرح ما يدركه عن الآخر ، ثم ينتقل الحدث إلى تسجيل الجبرتي لواقعة مغادرة بونابرته مصر إلى بلاده وتولية كليبر مكانه وتقربه من المماليك ، وعلى الفور ينتقل الحدث إلى حيث حشود الطوائف المختلفة بالقلعة ومعهم الغوازي والحرافيش والمحبظاتية وأصحاب الملاعيب يستعدون لمقاومة المستعمر بقيادة عمر مكرم الذي عاد من دمياط بعد سفر بونابرته ، إذ عرض كليبر جيوشه في القصر العيني لإحاطة الأهالي ، وأباح السهرات الليلية والمجون من أجل إفساد الأهالي ، واستطاع كليبر أن يحتوي بعض العلماء والشيوخ ، وتتواتر الأخبار بوقوف الإنجليز والعثمانيين ضد الفرنسيين ، وتشتد المقاومة ببناء المتاريس بعد أن فرض كليبر غرامات وضرائب باهظة ، وينتهي الموقف بقتل الحلبي لكليبر ، وعلى الفور تنتقل الأحداث لتولي مينو بدلاً من كليبر ، وينزل الإنجليز بعساكرهم إلى الإسكندرية يساندهم العثمانيون ، ويهزم الفرنسيين في موقعة أبي قير ، والتي تنتهي بالصلح بين الأطراف على أن يرحل مينو ورجاله من مصر ، وتظل مصر « سداح مداح لكل طامع » ولكن شعب مصر دائمًا – كما يقول عمرمكرم – « يفتدي أرض بلاده ، وأنه أصبح مركوزاً في ذهنه ألا يحكم حاكمًا غير إرادته » .

- ٧ -

أنهى نعمان عاشور مسرحيته هذه فى فبراير عام ١٩٨٧ وكان ذلك قبل رحيله عن العالم بشهريين ، وكانت المسرحية فى جزئين وثمانى لوحات ، وقد استخدم نعمان عاشور فى هذه المسرحية تقنية تنقل المشهد من الكتابة التأريخية / التسجيلية عن الوقائع التاريخية إلى تحقيق المشهد دراميًا والتعليق عليه ، وأحيانًا ما يدخل الجبرتى نفسه إلى الحدث ويشارك فيه ثم يسجله ويعلق عليه .

ولم يعتمد نعمان عاشور فى هذه المسرحية على منطق الدراما التقليدى ، وإنما اعتمد على بنية غير تقليدية وعلى مجموعة مشاهد متفرقة لا ترتبط بعضها البعض بالمنطق السببى التقليدى ، وإنما تؤدى إلى حالة عامة أراد أن يصورها نعمان عاشور من خلال شخصية الجبرتى التى أحبها منذ طفولته ، وكانت شخصية الجبرتى هى العمود الفقرى للعمل والذى يصور المؤلف من خلاله مجموعة أحداث تاريخية ليضع بها حالة عامة تصور الاحتلال الفرنسى والمقاومة الشعبية ، وقد أدى هذا المنهج إلى أن يلمس نعمان عاشور بعض الوقائع بشكل سريع دون إكمالها ودون تتبعها دراميًا مثل خط ابنة الشيخ البكرى التى أصبحت محظية لبونابرته نفسه ، كما مر على حادث مقتل كليبر بشكل عابر ومن خلال جمله أو جملتين ، وهو الحدث الذى كان يمكن تحقيقه وتأسيسه دراميًا ليصور طبيعة المقاومة لما له من أهمية تاريخية ، ولما يمكن أن يكون له من أهمية درامية كبيرة ، وكان يمكن أيضًا أن يمس الخط الدرامى الذى يتعلق بعمر مكرم فى دمياط ليعمق ماتركه

الاستعمار من جروح عميقه لدى البيت المصرى فى كل مكان ، وهذه التركيبة الدرامية / الوثائقية التى توصل إليها نعمان عاشور فى هذا النص تسمح فى النهاية للمخرج بالتدخل بشكل كبير ، وتسمح أيضاً بتمويلها لعمل موسيقى / شعبى ؛ إذ لم يعد المخرج الآن منفذاً لكلمات المؤلف ، كما كانت تسود هذه النظرية فيما مضى ، وهى نظرية تجاوزها التاريخ وأثبت خطأها ، إذ أن الإنسان التى يتعامل معها المخرج (من عناصر مرئية ومسموعة) تختلف عن الأنساق التى يتعامل معها المؤلف (الكلمات) ، وقد أصبحت كلمات النص جزءاً من العملية الإخراجية التى تخضع فى النهاية لتصور المخرج ، وبذلك فإن تنفيذ الكلمات على خشبة المسرح كما يكتبها المؤلف لم تعد ممكنة ، فالمخرج فى النهاية هو مفسر وصانع العمل الفنى بأدوات تختلف عن أدوات المؤلف ، وقد ظلت هذه المسألة محل خلاف فى المسرح العالمى حتى حسمت لصالح المخرج فى نهاية القرن العشرين ، وقد شهد المسرح المصرى هذه المعركة حينما أخرج كرم مطاوع نص فرافير إدريس على خشبة المسرح القومى بعد عودته من إيطاليا فى الستينيات ، وقد انتهت هذه المعركة بتأكيد دور المخرج المسرحى باعتباره مؤلفاً أخيراً للعرض المسرحى ، إذ لم يعد دور المخرج هو الترجمة الحرفية لكلمات النص ، وإنما يتعدى دوره ذلك محولاً كيان الكلمات إلى كيان آخر ، كيان يستخدم فيه فنون أخرى غير فنون الكلمة من إيقاع وأداء وحركة وإضاءة وموسيقى وألوان ورقص وديكور وتفسير وإعادة بناء لتظهر لنا كلمات النص وقد تحولت إلى عرض مسرحى يحتوى على جميع العناصر سالفة الذكر وجميع الفنون التى يتم تزويجها وتركيبها على

خشبة المسرح ، فتخرج لنا الكلمات فى كيان آخر يختلف عما كانت عليه اختلافاً كلياً .

وإذا كانت هذه المسرحية لم تخرج إلى النور سواء فى كتاب أو على خشبة المسرح منذ كتبها نعمان عاشور قبل رحيله فى الثمانينيات ، فقد آن الأوان أن تظهر فى كتاب بعد أن ظلت حبيسة أدراج مكتبة لمدة ثلاث عشر سنة ، وكما آن الأوان أن تظهر لنا على خشبة المسرح لمخرجين قدامى أوجدد برؤى قد تختلف أو تتفق مع المؤلف ، ولن يقلق هذا روحه فى قبره ، بل يقلقه أن تظل المسرحية حبيسة أدراج مكتبه ، وأن تظل بعيداً عن ضوء خشبات المسرح التى ترجو أن تضاء بها قريباً .

ثبت
بالمصادر
الأساسية
والمراجع

أولاً : المصادر : -

نعمان عاشور :

- مسرح نعمان عاشور ، الأجزاء الثلاثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ .
- شعب مصر ، صفحات درامية من تاريخ الجبرتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ .
- المسرح حياتي ، القاهرة للثقافة العربية ، ١٩٧٥ .
- مع الرواد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ .

ثانيًا : المراجع : -

١ - أحمد عباس صالح :

- مقدمة مسرحية بلاد بره لنعمان عاشور ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

٢ - سعد أدردش :

- مجلة تياترو ، العدد الثاني ، إبريل ١٩٩٣
- مقالة بعنوان (نعمان عاشور رأس الجيل الطالع)

٣ - د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم :

تاريخ العرب الحديث والمعاق ، دار الكتاب الجامعي ١٩٩١

٤ - عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب :

- تاريخ العرب الحديث ، الإمارات العربية ، دبى ١٩٨٧ .

٥ - عرفة عبد الجواد :

- مجلة تياترو ، ابريل ١٩٩٣ ، تحقيق بعنوان (قالوا عن ذكراه السادسة) .

٦ - د. محمد شيحه :

- مجلة تياترو ، ابريل ١٩٩٣ ، مقالة بعنوان (مقدمة لكتاب لم يكتب فى التعريف بنعمان عاشور) .

٧ - د . نهاد صليحة :

- مجلة القاهرة ، يونيو ١٩٨٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مقالة بعنوان :

(معنى الواقعية فى مسرح نعمان عاشور)

ثالثًا : أعمال مترجمة : -

- ج . كريستوفر هيرولد .

- بونابرت فى مصر ، ترجمة فؤاد أندراوس) مكتبة الأسرة ١٩٩٨ .

رابعًا : حوارات وأحاديث تليفونية : -

- حورات وأحاديث تليفونية مع كل من المخرج سمير العصفورى والناقد فاروق عبد القادر والفنانة سميحة أيوب .

حملة تفوت

ولا شعب يموت

مسرحية

نعمان عاشور

الشخصيات حسب الظهور

الجبرتى	فى حوالى الـ ٥٠ من عمره .
تلميذه الحريرى	٢٥ سنة .
عرفان	نفس السن
عمر مكرم	من سن الجبرتى
الخشاب	نفس الجيل
الشيخ الأمير	٦٠ سنة
الشيخ العروسى	من عمر الجبرتى
توت	كبير علماء الحملة
رويا	وكيله
أريجو	كبير الرسامين
الحاج مصطفى البشتيلى	٥٠ سنة
الشيخ الشرقاوى	٦٠ سنة
السيد أحمد المحروقى	من جيل الجبرتى
مجنوب السيدة زينب	
ترجمان كليبر	

المجموعات :

- نساء ورجال الحارات الشعبية وتتفاوت أعمارهم .
- جنود فرنساوية .
- طوائف الحرفيين ورؤساؤهم .
- فقهاء عاديون .
- غوازى وحرافيش وأصحاب ملاعيب .

الجزء الأول

اللوحة الأولى

الراوى : **(الجبرتى يملى تاريخه)**
بعد الدقات الثلاث المعتادة على خشبة المسرح .

الجبرتى : بس .. بس .. لحد هنا وقف يا حريرى

تلميذة الحريرى : دخلنا فى الجد يا مولانا ..

الجبرتى : لا داعى للرهبة .. المهم ألا نقطع سير الأحداث وتسلسلها اكتب يا ابنى .. وفى المحرم من عام ١٢١٣ هجرية .. كانت سنى أولى الملاحم العظمية والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة .. وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتوالى المحن واختلال الزمن .. وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير .. وعموم الخراب

وتواتر الأسـباب .. ومـا كان ربك مـهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ..

الحـــــريرى : أحسنتم يا أستاذ ...

الجـــبـــرتى : دا كـلام يا حـريرى .. هو أنـا فـقى بقـرا تراتيل .. يا ابنى هذه واقعه ليس لها سابقة ولا مثيل .

* *

(وسط حوارى وعطفات القاهرة)

(الأغا ومعه جند الوالى وأمامهم المنادى)

المـــنـــادى : **(يضرب على سنج بين فـترات النداء أو قد تكون طبلة كالمسحراتى) .**

يا أهل مصر المحروسه ..

يا عباد الله .. وحدوا الله ..

اخرجوا من بيوتكم

واصلوا حياتكم ..

يا أهل مصر المحروسة ..

عودوا إلى حالكم ..

ودبروا أموركم ..

يا أهل مصر المحروسة ..

هذا أمر الوالى
والجناب العالى .

الأغــــــا : نادى عليهم ثانى . . ماتبطلش الندا

(ويظل المنـادى يدور على البيـوت مناديا والأهالى الآن يتـقـاطرون مـن بيـوتهم فى تلاحق متصل) .

أحــــدهـم : **(خارجا)** إيه الحكاية يا خلق ما تفهمونا . . نهجر بيـوتنا للحراميه ينهـبوها . . هو احنا ناقصين نهب وسلب . .

آخــــــر : البلد سابت على بعضيها وما عدش فاضل للناس أمان إلا فى بيوتهم . .

ثـــالـــث : دول بينادوا من قـبل المغرب بفـتح الأسواق والقهاوى بالليل .

(مشاهد متـفرقة تكشف عن خوف الأهالى ورهبتهم من ترك بيوتهم والنداء مستمر يتردد فى مختلف الأماكن) .

أحــــدهـم : إيه اللى إنتى وخداه فى ايديكى ياوليه . .

زوجــــتـــه : الهدمتين اللى حيلتى . . مش يمكن يهجموا على البيوت بعد مايخرجونا منها ويأخدوها . .

الآخـــــــر : لا حول الله . . البلد سابت يا عالم . .
لا لها رابط ولا لها ضابط .

أحـــــــمد : خد وحياتك يا عم متولى . . شيل دول
معاك . .

مـــتـــولى : ايه دول . .

نفس الرجل : الكيسين الفضة . . تحويشة العمر . .

مـــتـــولى : وحد يحوش فضه أنت راخر ، كلها يومين
وتبور . .

ثـــانـــى : بكره الفرنساويه يطلعوا عمله جديده . .
تفتكر كده . .

نفس الرجل : تفتكر كده . .

ثـــانـــى : أكيد . . وقليل إن ما كانوا جايبين معاهم
العمله بتاعتهم كمان . .

نفس الرجل : عم متولى . .

مـــتـــولى : خليك شايل فضتك معاك . .

الثـــانـــى : واحنا آمنين على حياتنا لم حنآمن على
فلوسنا . .

نفس الرجل : وبعدين يا عم متولى . .

مـــتـــولى : روح يا شيخ رجعهم مطرحهم قبل ما

يفتشوك والأغا ياخدهم منك . .

الثـــــانـى : **(إذ يرى رجلاً ومعه زوجته وأولاده)** وأنت ساحب حـريمك وولادك معـاك مش خايف عليهم . .

الــــرجــــل : أمـال كنت حا أسـيبـهم فى البيت علشـان يخطفوهم .

(والأغا يتابع جولته مع المنادى)

المـــنـــادى : يا عباد الرحمن . .

يا رعايا السلطان . . إلخ

واحـــــــد : دول بيـــعـلقـــوا القـناديل عـلى البـيـــوت والدكاكين . .

ثــــانــــى : والناس ملت الشوارع . .

واحـــــــد : يا عـالم فهمونا . . عـلشان إيه اللى بيجرى دا كله . .

فـــــقـــى : **(فى وسطهم)** مقصـدهم إبطال الأراجيف والتهويلات والشائعات . .

الـواحـــــد : هما فاهمين الناس فـى نومه ولا عايشين فى غـفله . . تعـالى يا عرفـان وريهم مكتـوب الفرنساويه التى وزعوه فى سكتهم . . عرفان

دا أصله نسيبى وجى من فـوه بعد ما دخلوا دمنهور وجاب معاه مكتوبهم . .

عـــــرفـــــان : حنصبح نلاقيهم قدام عنينا فى امبابه .

الـواحـــــــد : اقرا لهم يا عرفان المكتوب . . !

عـــــرفـــــان : اقرأه أنت . . أنا ماعرفش أقرأ

الـواحـــــــد : يقـدمـه لـلفـقى : خلـى مـولانـا هـو اللى يقراه . . هو أنا كنت باعرف أقرأ .

(ويأخذ الفقى المكتوب ليقرأه وتتجمع حوله الناس . .

ولكن قراءته تكون صامته (**بالبانتوميم**) إذ أننا ننتقل الآن إلى الراوى)

الجـــبــــرتى : خـذ المكتوب بتـاعهم أهه يا حـريرى وابقى دونه . .

الحـــــريـرى : جبته منين يا مولانا قبل وصوله . .

الجـــبــــرتى : سبحان علام الغيوب . . دونه . .

الحـــــريـرى : **(وهو يلون المكتوب بصوت عال)**

بسم الله الرحمـن الرحيم لا إله إلا الله ولا ولد له ولا شـريك فى مـلكه . . من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية

السير عسكر الكبير أمـير الجيوش الفرنساوية بونابرته . . يعرف أهل مصر جميعهم . .

الجـــــبـــــرتى : أنت هاتقرا هولى يا حـريرى . ما أنا عارف اللى فيه . . دونه وأنت ساكت .

(نتتقل الآن إلى الفقى وهو يقرأ بقية المنشور على الناس) .

الـفـــــــــقـــى : من مدة عـصور طويلة . . وهذه الـزمرة من المماليك يفـسدون فى الإقلـيم ، فأمـا رب العالمين الـقادر على كل شىء فإنـه قد حكم بانقضاء دولتهم . . يـا أيها المصريون . . قد قيل لكم أنى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم . . قـولوا للمـفتـرين إننى مـا قـدمت إلـيكم إلا لأخلص حـقـكم من يد الظالمين وأننى أكثر من المماليك . . أعبد الله سـبحـانه وتعـالى وأحـترم نبـيه والـقـرآن العظـيم . . أيها المشايخ والأئمة وأعيان البلد . . قـولوا لأمـتكم أن الـفـرنسـاوية أيضـا . . مسلمون مخلصون . .

أحــــــــمـد : شوف الكفره الملاعيين .

آخـــــــــــر : هما فـاهمين أنهم حيـضحكوا على دقـوننا بالكلمتين دول . .

الفـــــــــقى : عـاوزين تسـمعـوا ولامش عاوزين . . أأقـرا ولا بلاش . .

بعـــضـــهم : اقرا . . اقرا . .

البـعض الآخـر : كمل كمل يا مولانا كمل . .

الفـــــــقى : **(يعـود للقـراءة)** طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتـفقون معنا بلا تأخيـر فيصلح حالهم وتعلى مراتبـهم ، طوبى أيضا للذين يقعدون فى مـساكنهم غير مـائلين لأحد من الفريقين المتـحاربين . . لكن الويل ثم الويل للـذين يعـتمدون عـلى المماليك فـى محاربتنا . . فلا يجدون إلا الموت والهلاك . .

عـــرفـــان : فهمتوا يا عالم . . فهمتوا يا ناس . .

أحـــــــدهـم : علشان كده مخـرجينا للشوارع فى عز الليل . . نقف لهم فى وش المدافع . . **(صـوت المدافع من بعيد)** سامعين المدافع .

آخـــــــــر : مـا هى شـغاله من الـصبح . . فى امـبـابه والجيزة وعند الهرم .

أحدهم مقبل من بعيد : اسمعوا يا ناس .
اسـمـعـوا يا ناس . . حـصل اللى حـصل
وجـرى اللى جـرى . . لا نفعت مـتـاريس
إبراهيم بك فـى بولاق ولا نفـعت غـلايين
مراد على بر الجـيزة . . الفـرنساويه وصلوا
بدرى عن المقـدر لهم . . نظمـوا صـفـوف
وعـسكروا فى الهـرم وعلى رأسـهم السـار
عسكر بتاعهم . .

الفـــــــقـى : وعملوا ايه يا أخينا . .

الــــرجــــل : طيروا مناخيـر أبو الهول والمعركة اسـتمرت
تلت ، ربع ساعة فقط لا غير . .

آخــــــــر : يا عالم هوه . . تلت ، ربع سـاعة ؟ ! دى
ولا مقارشة الديوك فى الحاره . . **(ويضحجوا ضاحكين)**

(وفى ناحية أخرى)

ســـيـــدة : سمعتى على اللى حصل للأمرا يا أختى ؟

أخـــــــرى : جرجروا حريمهم ومالهم وعيالهم . . وهربوا
على بحرى وعلى الصعيد

الســـيــــدة : بيقولوا الفرنساويه صادروا نسوانهم . .

الأخــــــرى : وصادوهم ضيد البط فى الترع . .

الســــيــدة : نص حريم إبراهيم بيه حشروهم فى غليون . .

الأخــــــرى : دا أنا سـمعت كـمان إنهم احـتجـزوا حريم المراديه . .

زوجــــهــــا : ماتخافوش . . مش حيحتجزوكم . .

الســــيــدة : ليه . . هو احنا مش حريم زيهم ؟!

زوجــــهــــا : حرمت عيشتك . . حريم عن حريم تفترق .

زوج الأخــــرى : دكهم حريم نقاوه . .

زوجــــــــة : فشر . .

رجل آخــــــر : حريمنا بعبلهم مافيش أحسن منهم . .

الزوجـة الأخـرى : بعبلهم دا إيه يا عمر . .

زوج : يا عـالم فـضوها سـيـره . . احنا مش قـد لسانهم . .

رجـــــــل : إيه اللى أنت لابسه دا ياعم فضالى . .

فــضــالــى : عباية الدفتـردار . . جابها لى ابنى من تحت رجليه وهو و اقع من على الحصان . .

آخـــــــــر : دا المملوك الوحيد اللى راح فطيس . .

رجـــــــل : كـان أشـجـعـهم . . وقف ولا هربش . . واستشهد . .

الآخــــــــــر : أنت خارج بالعـبايه دى الساعـة دى ليه . . روح رجعها البيت قوام لحسن يمسكوك بيها .

فضـالى لامـرأته : خدى رجعيها إنتى .

المـــــــــرأة : أيـوه . . عـلشـــان يســتـــفـــردوا بى . . ويصادرونى . .

فـــضـــــالى : يا وليه ماتخافـيش . . الفرنساويه مش عمى . . دى ناس عندها نظر . . وكـمـان لسـه مانزلوش البر . .

زوجـــتـــــه : نزلوا يا حبيبى . . روح رجعها بنفسك . .

فـــضــــــالى : أنا حا ألفها وأشيلها تحت باطى . .

(يســمع صوت المنادى مـقبـلا ومعـه الأغا والعسكر) .

واحـــــــــــد : الأغا رجع بالمنادى . .

آخـــــــــــر : اسمعوا يا رجاله . . يا خلق يا هوه . .

ثـــالـــــث : عاوز تقول إيه . .

الآخـــــــــر : حنحبس نفسنا فى بيوتنا . .

الثــــــــالث : أحسن ما هما يحبسونا . .

(وينصرف الجمـيع مسرعين يتدافـعون نحو بيوتهم) .

(ويقبل الأغا ومعه المنادى ينادى)

الأغـــــــــا : الناس راحت فين . . احنا مش جينا هنا قبل كده . .

الجـــمـــيـع : **(بمن فيهم المنادى)** الظاهر إننا تهنا يا باش أغا . .

(وبذلك تنتهى اللوحة الأولى . .)

اللوحة الثانية

(الجبرتي يروى تاريخه)
(مع مؤثرات ضوئية وصوتية تعبر
عن الصورة التي يرسمها)

الجبرتي : اكتب يا حريرى حتى نلاحق الأحداث **(ومع بداية الموثرات)** واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار .. وأظلمت الدنيا من دخان البارود وصُمت الأسماع من توالى الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزت والسماء عليها سقطت .. وكانت ليلة وصاحبها فى غاية الشناعة .. جرى فيها مالا يتفق مثله فى مصر ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين وليس من رأى كمن سمع ..

الحريرى : يا ترى حيحصل إيه بعد كده يا مولانا . .

الجبرتى : أما نشوف أسيادنا العلما حيتصرفوا إزاى واهو اللى كان منهم مع مراد رجع واللى كان منهم مع إبراهيم رجع . . وكل اللى فر ومالقلوش مأوى عاد . .

الحريرى : دول بيقولوا الناس طلعت القلعة ورا السيد عمر مكرم ، ولمة الأهالى فاردين البيرق النبوى .

الجبرتى : روح شوف لى إيه العبارة يا حريرى وهات لى معلومياتها بنفسك . . روح مستخبى زى ما أرشدتك . .

الحريرى : حا أعمل نجار مع طايفة النجارين . .

الجبرتى : ما أنا جاييك من النجاره . . روح إنشا الله تعمل بهلوان . . بس فتح عنيك .

ساحة القلعة

(ضرب على الدفوف وقرع على الطبول والسنج . . طوائف الحرفيين وكل طائفة تحمل علمها . . ينشدون فى إيقاع منتظم على طريقة الأذكار فى الموالد)

(وطوائف الحرفـيين يتجمعـون فى صفوف وراء بعضهم بإعـلام كل طائفة وهم ينشدون ويتطوحون) .

أحـــــــدهـم : حسب ما أمر . .

بقـيـة الطايفـة : شيخ الحدادين . .

(ويلفون ويدورون بعلمهم)

الحـــــــدادين : يا رحمن ويا رحيم .

يا رحمن ويا رحيم

يا رحمن إلخ . . إلخ . .

(ويأخذون مكانهم فى الصف لتتـقدم طائفة أخرى) .

أحـــــــدهـم : حسب ما أمر . .

بقـيـة الطايفـة : شيخ النجارين . .

(ويلفون ويدورون فى بعلمهم)

النجـــــارين : يا غفور ويا عليم . .

ياغفور ويا عليم . .

يا غفور . . إلخ . . إلخ

(ويأخذون مكانهم فى الصف لتتـقدم طائفة أخرى) .

أحـــــــدهـم : حسب ما أمر . .

بقيـة الطائفـة : شيخ النحاسين . .

(ويلفون ويدورون بعلمهم) .

النحـــاسين : يا جبار ويا قهار

يا جبار . . إلخ . . إلخ . .

(ويأخذون مكانهم فى الصف لتتـقدم طائفة أخرى) .

أحـــدهـم : حسب ما أمر .

بقيـة الطائفـة : شيخ البنايين

(ويلفون ويدورون بعلمهم)

الـبـنـايـين : يا لطيف ويا لطيف

يا لطيف ويا لطيف

(ويأخذون مكانهم فى الصف وهكذا)

(وبينمـا يدور هذا الاستـعراض المتـابع فى الساحـة نرى جمع العـلماء والقادة جـلوسًا فوق ربوة مشرفة عليها) .

(جـــمع العلمـــاء والقـــادة فـــوق الربوة والاستعراض مستمر) .

(وفى وسط الســاحة علم كبـير هو البـيرق النبوى)

عـــمـــر مكرم : العلما كان لازم تنضم معانا .

لكـم المشـايخ مـوزعه بعـضيـهـا من غيـر حساب ، جـماعة عند الوالى .. وجـماعة انضموا للأمرا المماليك .

عـــــالـم : احنا ما رجعنا وسبناهم أهه . .

عـــمـــر مكرم : هما اللى سـابوكم وسابو البلد كـلها وهربوا على الأرياف . .

الخـــشـــاب : واللى فضل جوه البلد منكم . . راحوا يفـاوضوا السـارى عسكر الفـرنساوى وسلموه دقونهم . .

عـــمـــر مكرم : كلهم بعدوا عن الأهالى . .

عـــالم آخـــر : يا سيـد عمر ، الأهالى كلتـها حاطة ثقتـها فيك واحنا معاك ومعاهم .

عـــمـــر مكرم : شـوفـوا الناس بعـينكم أهم . . كل طايفـة عملت اللى فى قوتها وفى طاقتها . .

الخـــشـــاب : مافـيش حد شح بشىء يملكه إلا ودفـعه . . واهم زى ما نتـو شايفين النهارده مجـموعين حوالين البيرق النبوى . .

عـــــالـم : احنا كلنا ايدنا فى ايدك يا سيد عمر . .

عـمـر مكرم : ايديكم لازم تكون فى ايدين الأهالى **(يقف)** يا أهل مصـر .. اسمعوا وعـوا .. اقترب الكرب وحلت سـاعة الحـرب .. ولابد من محاربة العـدو الواحد الذى يجمعنـا قتاله . فالنزول النزول إلى بولاق ..

جـموع الطوائف : إلى بولاق .. إلى بولاق ..

(ويرفعـوا البيرق النـبوى حاملين أعـلامهم والنبابيت والعصى وهم يهللون ويكبرون .. ومعهم الطبول والزمور) .

الحـدادين :

النجـارين : يا رحمن ويا رحيم

النحـاسين : يا غفور ويا عليم

البـنـايـين : يا جبار ويا قهار

يا لطيف ويا لطيف

(الجـبرتى فـى جمع من تلامـيـذه ممسكين ايديهم بعـضهم بعـضا ليحـولوا بين الموكب وبين التقدم)

الجـبـرتى : وقف عندك ..

تـلامـيـذ : مافيش حد يتحرك ..

أحـدهـم : وقف يا جدع أنت هناك ..

ثـانٍ : وقفوا يا ناس .. وقفوا يا عالم ..

ثـــالــــث : لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكه . .

الجـــبـــرتي : **(إذ رآهـم يـتــوفـقـون)** وقف عندك . . وقفوا . . وقفوا

(الحـريرى يبرز مـن بين النجاريـن مندفعـا نحوه)

الحـــــريـرى : مولانا الجبرتي . . جيت إزاى يا مولانا . .

الجـــبـــرتي : للضـــرورة أحكام يا حـــريرى . . جـــيت بالهليوكوبتر . .

الحـــــريـرى : جيت بإيه ؟

الجـــبـــرتي : حاجـة لا أنا أدركتهـا . . ولا أنت حتـقدر تدركها . . ركبت بغلة .

(تلاميـذ الجبرتي يمنعون الناس من مـحاولة استئناف المسيرة)

الحـــــريـرى : أنا يا مولانا قايم بالواجب . .

الجـــبـــرتي : وإيه اللى أنت لابسه ده يا حريرى ؟!

الحـــــريـرى : متخفى نجار . .

(يكون جـمـاعة من رؤسـاء الطوائف قـد صعدوا للربوة وأحضروا عمر مكرم)

عـــمــــر مكرم : **(مقبلا مع رأسهم)** إيه اللى جرى ؟!

أحـــــدهـم : الموكب وقف يا سيد عمر .. الشيخ الجبرتى عارض الموكب .

عــمــر مكرم : ودا كلام يا شيخ عبد الرحمن ..

الجــبــرتى : يا سيد عـمر .. الواقعة كبيـره .. وضجة الأهالى مالهاش لزوم بالشكل ده ..

رئيس طـايفـة : يعنى نسيبهم يا خدوا بلدنا ..

الجــبــرتى : إن الرسول والصحـابه والمجاهدين تحت ظل هذا البـيرق الـنبوى .. إنما كـانوا يقـاتلون بالسيف والحراب وضـرب الرقاب ، لا برفع الأصوات والصراخ والنباح ..

رئيس طـايفـة : الأهالى مـافـيش فى أيديهم غـير الصـراخ والعويل ..

رئيس آخــر : هو فيه حد كان مسكهم سلاح ..

ثـــانـــى : طول عمرنا مسلوبين من القوة ..

عــمــر مكرم : هما اللى جـولى بنفسهم وطـلعونى هنا فى القلعة معاهم .. طالبين التضحية .

رئيس طـايفـة : حياتنا فدا بلدنا .

الجــبــرتى : لكن دى مش تضحية ياسيد عمر .

دا استشهـاد ومن غير طائل .. وأنت أدرى

بالناس . . الأهالى بيقدموا حياتهم رخيصة
فى سبيل نصرة البلد وحفظ كيانها لأن البلد
بلدهم وهما أصحابها على مدى الدهر . .

عالم : أنت حتدينا درس يا شيخ جبرتى . . دا
قضاء وقدر وغمة لابد منها . .

الجبرتى : مش قضاء وقدر . . الحادثة اللى قدامنا
كبيرة والفرنساويه نيتهم واضحة ومفضوحه
. . ويكون فى علمكم . . الراجل اللى
زحف علينا مش هين أبدا . . دا مخوف
أوربا بحالها ، وخادع الإنجليز ومحيرهم . .

رئيس طايفة : كل ده من فعل المماليك . .

آخر : من سوء تدبيرهم وإهمالهم وعبثهم بالبلاد
وظلمهم للأهالى .

رئيس طايفة : وإنتو طول عمركم . . ساكتين عليهم .

الخشاب : هو دا سبب النكبة اللى حصلت من أولها
لأخرها . .

الجبرتى : إنت هنا يا إسماعيل يا خشاب . .

الخشاب : مع الأهالى طول عمرى . .

عالم : يا مولانا فضها سيره . .

الجـــــبـــــرتى : **(يكاد يخطب)** أفـضهــا سيــره إزاى . . يا ساده يا كرام الأمــر عندى واضح برغم كل عتــمة . . بونابرته الكبــير مش راجع عن بر مصر . . وحملته حملة إقامة . .

عـــمـــر مكرم : وعلشان كده لابد من المقاومة . .

الجـــــبـــــرتى : مقاومة إيه ياسيد عمر . . دا قليل إن ما كان على دخلة الليل تلاقوه نايم فى قصر الألفى على بحيـرة الأزبكية . . نازلين الســاعه دى تعملوا إيه فى بولاق .

عـــمـــر مكرم : أنا مــا أقــدرش أمنع الأهالى . . إلى بولاق . . إلى بولاق .

(ويعلوا الموكب إلى التحـرك بالبيرق النبوى والأصوات والنداءات والأدعيــة والابتهالات . . وتتابع الطوائف) .

يا رحمن يا رحيم
يا غفور ويا عليم
يا جبار ويا قهار . .
يا لطيف ويالطيف . .

الجـــــبـــــرتى : امنعهم يا سيد عمر . .

عمر مكرم : ما أقدرش .. لابد من المقاومة ..

الجبرتي : مقاومة إيه إذا كانت الحكاية انتهت والناس اللى خرجوهم من بيوتهم رجعوا جحورهم ثاني زى الفيران ..

عمر مكرم : لا يمكن مخالفة رغبات الأهالى .. أيها الناس .. النزول النزول إلى بولاق .

والجميع : إلى بولاق .. إلى بولاق ..

(ويتقاطر الموكب مارين بالجبرتي الذى يقف آسفا حزينا كاسف البال)

الحريرى : هما أحرار .. يعملوا اللى يعملوه .. تعالى يا حريرى نرجع بينا لعقر دارنا .. (وعلى نهاية الموكب) صدق اللى قال .. مين ساب داره . انقل مقداره ..

(ويخرج الجبرتي وتابعه لتنتهى اللوحة الثانية) .

اللوحة الثالثة

(بالقرب من بيت الألفى على بحيرة الأزبكية)
قصر بونابرته

(على مقربة من القصر يتقابل الحريرى متخفيا كنجار لا شيخ مع عرفان البهتيمى)

عرفان : **(يستوقفه)** سبحان الله .. يخلق من الشبه أربعين أنا شفتك قبل كده فين يا جدع أنت .. كنت معانا فى القلعة يوم هوجة البيرق النبوى ؟! ولا نكون اتقابلنا فى زاوية على بيك فى بولاق ليلة الدعا والابتهال مع المشايخ ؟!

الحريرى : هو إيه اللى حصل بعديها ؟!

عرفان : سابوا الناس تولول للصبح .. وتانى يوم

عدت الفـرنساوية البـر الشرقى وعـملوا زفه وزيطه وزمبليطه للسار عكسر الكبير بتاعهم .. والآخـر جـابوه هـنا فى دار الألفى .. عملها القصر بتاعه .

الحـــــــريرى : يا أخويا دا أنت عارف كل حاجه !!

عـــــرفــــان : ما هو القصر قـدامنا أهه وشايفينه بعنينا .. على قـول الشـيـخ العـروسى .. الناس لا يخفى عليهم شىء .. بيسمعوا دبيب النمل ورنة الأبره فى الشـــوارع ، دول بيـعـملوا عمايل !!

الحـــــــريرى : عملوا إيه تانى ؟!

عـــــرفــــان : نادوا الناس بالأمان وفـتحـوا الأسواق بالليل للاحتفال برمـضان ..على حكم المعتاد زى ما بيقولوا ..

الحـــــــريرى : أتارى الدنيا مـقلوبه .. **(أصـوات مبـاهج وأفراح من بعيد)** .

عـــــرفــــان : والهـيـصـه فى كل ناحـيـة . .الناس مش سـايعاها الـدنيا من الفـرح .. بيـهللوا فى الشوارع **(أصوات تهليل)** خصوصـا بعدما

قفلوا الحانات ومنعـوا المشروبات . . قال إيه خايفين على شعورنا . . شوف العجب . .

الحـــــــريرى : سبحان مغير الأحوال . .

عـــــرفــــــان : هو اللى ناقص أن بونابرته بتاعهم يلبس عمه وجـبه وقـفطان وينضم لزمـرة المشـايخ . . تعالى شوفه معايا . .

(ويجـره من يده خطوات إذ تسـتـوقـفـهم مـشاهدة رجل من مـجـاذيب السيـدة زينب جـالسًـا على مـقـعـد فى متـصف الطريق والناس ملتـفـون من حوله يسـتـمعـون فى شغف وبعض عـسكر الفرنسـاويه يتفـرجون على الرجل وحركاتـه وتصرفاته ويلاحظ أن المجذوب يرتدى بدلة عسكرية فرنساوية قديمة ومقطعة .

الحـــــــريرى : ودا إيه كمان !! بونابرته !!

دا راجل مـجذوب من اللى بـيقـعدوا قـدام السيـدة زينب لابس جنرال زيهم . . وجاى يشتم فـيهم ويدعى عليهم . .وأهم سـايبينه يهلضم زى ما أنت شايف . .

الحريرى : دول بيتفرجوا عليه كمان . .

المجنوب : **(رافعا عصاه للسماء فى شبه إنشاد ويمكن أن يلحن وتصاحبه موسيقى مناسبة)**

يا لطيف بالبلاد

خدوا البلد فى غمضة عين

يالطيف بالعباد

حنروح منهم فين

احفظنا من شرهم

احفظنا من بطشهم

احفظنا من فجرهم

الناس بترقص زى رقصهم

خرَجوا نسوان عرايا

وخدوا نسوان سبايا

بحق السيدة زينب

يارب فرج كربنا

انصرنا على أعدائنا . .

وإذا كان رب الدار بالدف ضارب فشيمة أهل الدار كلهم الرقص (وهو يضرب على رق فى يده ويقلد رقصاتهم) .

يا لطيف بالبلاد

يا لطيف بالعباد . .

(والناس يتقدمون بأيديهم ليتبركوا به)

الحريرى : وسايبينه كده إزاى . . دا بيسبهم ويلعن فيهم ويدعى عليهم . .

عرفان : زى ما أنت شايف كده . . وجايبين له كرسى كمان يقعد عليه . .

الحريرى : هما مش عندهم علم باللى بيقوله . .

عرفان : بونابرته الكبير بذاته . . خلى المترجم المالطى بتاعه يترجم له كلامه . . كلمة كلمة . .

الحريرى : وسايبينه إزاى ؟

عرفان : بيقولوا عملا بالحرية . . هو اللى أمرهم يسيبوه . . فرجة . . والناس أهى بتتقرب إليه وتيجى تتبرك بيه .

الحرية : يقوموا يسيبوه يهاتى !!

عرفان : بيقولوا من دواعى الحرية . . وسارى عسكر هو اللى أمرهم يسيبوه . .

الحريرى : ودى تبقى حرية إيه ؟!

عرفان : فرجة ماتجيش على البال . . وأهى الناس أ

أهه بتقرب عليه وجايه تتبرك بيه . . ويهاتى
زى مايهاتى . .

الحـــــريـرى : عساكرهم نفسها واقفين قدامه !!

عــــرفــــان : وبيجيبوا له الأكل من السرايا !؟

الحـــــريـرى : أما عجيبــه والله . . مافيش أعجب من كده
أبدًا!!

(عرفان يأخذه من يده ويتجه به إلى الجانب الآخر مـــن الشــارع على ســـور شــاطىء البحيرة . . بحيرة الأزبكية) .

عــــرفــــان : تعالى مـعايا . . أنت لسه شفت حـاجة . .
احنا لســه قبل الفطار . . لكن المغــرب قرب
يدن . . حا أوريك بونابرته بذاته

الحـــــريـرى : أنت أتجننت **(كــلاهمــا الآن على ســـور البحيرة)**

عــــرفــــان : بص هناك للشرفــه اللى فى الدور الثانى . .
أهه . . شــايفه . . واقف ورا القــزاز وكفــه
على بطنه . . كــل يوم على الحــاله دى . .
بيراقب الشمس وهيه نازله . . والناس فاهمة
أنه صايم ومستنى آذان المغرب . .

الحـــــــريرى : مافيش أسهل من تضليل الخلق . .

عـــــرفـــــان : شايف . . أهم جابوله ورقة يمضى عليها . .

(فى الجانـب الآخر . . لاتزال اللمـة حول المجذوب ودعاءاته) .

الحـــــــريرى : لازم فرمان يطـوى بيه التجار والأعـيان بعد ماطوى العلما والمشايخ . .

عـــــرفـــــان : الله أعلم . . ياالله بينا نرد مطرحـنا . . قبل ما يحل الفطار ويرقمونا فى وقفتنا . .

الحـــــــريرى : أنا من ايدك دى لايدك دى . .

عـــــرفـــــان : لكن إنت إيه اللى جابك هنا الساعة دى ؟!

الحـــــــريرى : إنت اللـى جـــرجـــرتنى وراك مـن ظرفك ولطفك .

عـــــرفـــــان : ولا ظرف ولا لطف . . دا طـبـعنا كـلنا يا مصريين . . سايبين على بعض خصوصا فى المحن والشدائد إنت صايم . .

الحـــــــريرى : الحمد لله . .

عـــــرفـــــان : تعالى أدبرلك لقـمة تفطر معـايا . . اللى ما عرفتنى باسمك . .

الحـــــــريرى : محسوبك على الحريرى . . نجار . .

عـــــرفـــــان : يابختك . . لك صنعه . .

الحـــــــريـرى : أمال أنت إيه شغلتك ؟!

عـــــرفـــــان : أنا على باب الله الكريم . . **(يقبل عليـهما عـسكريان)** الاتنين العـسـاكر دول جـايين علشانى . .

الحـــــــريـرى : يمسكوك ؟!

عـــــرفـــــان : يمسكونى إيه . . دول بتوع امبارح . . جايين يدوروا عليا . .

الحـــــــريـرى : عاوزين منك إيه ؟!

عـــــرفـــــان : شـايف الخــص بتـاعى اللى إنت قــابلتنى قدامه . . الخص اللى هــناك ده . . حتلاقى جواه ترابيزه وفوقها كتشينه . . خرجهم على الشـارع . . قـدام الخـص . . قـوام يا معلم **(ويدفعه)**

(الحريرى يجرى ليفعل مـا طلبه منه ويتركه مع العسكريين الفـرنساويين يتخاطب معـهما ببعض الكلمات والاشارات) .

عـــــسكـــرى : تلاته ورقة . . أن دى تروه . .

عـــــرفـــــان : عاوزين تلعبوا تلاته ورق . . على عينى . .

العسكرى الآخر : كوم لاوترفوا . .

عرفان : وى . . وى . . فهمت . . زى امبارح . . تعالوا . .

(ويأخذهما كل واحد فى يد ويتجه ناحية الحريرى الذى يكون قد أخرج التربيزة . . وعليها الكوتشينة . .)

الحريرى : الترابيزه أهه . .

عرفان : شايفها . . بس إنت خليك ورايا . . **(ويقف أمامهما وفى يده الكوتشينة على طريقه لاعبى التلات ورقات)** قرب يا خويا . . قدم . . آن ديه . . تروه . . ألا أونا . . ألادوا . . ألاتريا . .

(ولاحد العسكريين بعد أن وضع التلات ورقات) ارمى بياضك **(ويلعب بالثلاث ورقات)** آن . . دى . . تروه . . ألا أونا . . ألادوا . . ألاتريا . .

(ويتجمع بعض الناس حولهم ومنهم نساء ويمد أحدهم يده ليحاول أن يلعب)

عرفان ممنوع . . ممنوع يا أخينا . . العساكر بس جايه تلعب . . شيل فلوسك . .

عسكرى : أسيه .. أسيه . **(وهو يضع فلوسه على إحدى الورقات الثلاث)**

عرفان : أسيه .. أسيه **(ويرفع الورقة)** مش هيه .. راحت عليك يا حلو .. أوترفوه .. الثانى عليه ..

(ويظل يلاعبهما لفترة وهما يخسران .. ثم فجأة يتوقف العسكريان عن اللعب .. وأحدهما يشير للآخر ناحية عسكرى مقبل نحوهما)

أدهم : ما تلعب يا خواجة ..!

الحريرى : هما وقفوا ليه ؟!

عرفان : الظاهر شافوا واحد من الحرس العسكرى جاى ناحيتنا ..

أدهم : أصلهم محرمين عليهم اللعب والسكر ، دا ناقص يفرضوا عليهم الصيام ..

عرفان : فضوها سيره يا عالم .. فضوها سيره خلاص خلصت اللعبة .. **(صوت مدفع الأفطار)** وأهو كمان المدفع ضرب .. إنتوا مش صايمين ولا إيه ؟!

(وينفـرط الجـــمع من حــولهـــمــا وأولهم العسكريان .. ويرفع عـرفان الترابيزة ومـعه الحريرى ويتجهان بها إلى الخص)

الحـــــــريـرى : لكن دا مش يعتـبر قـمار .. والدنيا صـيام كمان ..

عــــــرفـــــان : **(ســاخطا وهو يخـــرج الطعـام من الخص ليضـعه علـى الترابيـزة)** أنت حتعتتنى .. لأ مش حرام .. **(ويخرج الورق الـنقدى الفـرنسى)** دى أصلهـا من فلوسنا .. وهو فيه احرم من أنهم ياخدوا منا بلدنا ..

الحـــــــريـرى : وإيه اللى علمك لعب القمار ..

عــــــرفـــــان : أولا دا مش قمار .. دى حـداقه ومفهـوميه وخفة يد .. لعبه اتعلمـتها من بحار طليانى زمان فى إسكندرية .. خلينا نفطر بنفس .

الحـــــــريـرى : **(وهو يســاعـده علـى وضع الطعـام الذى يخرجـه من الخص على المائدة)** أنت صايم فعلا ..

عــــــرفـــــان : ماتتـفقهنش علـيا .الصيـام دا بتاع ربنا .. مش أصـــول ناكل فى الشـارع .. شـــيل

قصادى الترابيزة ندخل الخص . .

الحريرى : أما أمرك عجيب يا جدع أنت . . لحد الساعه دى وما مقلتليش . . اسمك إيه ؟!

عرفان : توك ما افتكرت . . تعالى كل من سكات . . أنا اسمى عرفان البهتيمى . . حلال ولا حرام ؟!

(كلاهما الآن فى داخل الخص يتناولان الإفطار) .

(بعد لحظة تتقدم فرقه من عساكر الحرس يمكن أن تكون بموسيقا أو يعلن عن قدومهم بنفير ويصطفون على جانبى الشارع ببنادقهم . . وبعدها موكب من الجنرالات والسيدات فى أزياء السهرة . . وبينهن مصريات على رأسهن بنت البكرى).

(الحريرى وعرفان يخرجان من الخص لمشاهدة الموكب)

الحريرى : يا خبر باين ياولاد . . تعالى شوف يا عرفان . .

عرفان : كل ليله من ده . . حتى فى رمضان يا بنت البكرى . . اتقى الله فى أبوكى . .

الحريرى : دى أورطة نسوان . .

عرفان : بيعملوا مرقص فى القصر ويتعشوا مع الساري عسكر . . بيقول لك إنه ما يقدرش يستغنى عن الحريم ليله واحده . .

الحريرى : بيقولك إن الفرنساويه من أفجر الخلق . . أفجر من المماليك اللى ورثوهم بالحيا . . إبعد لايقبضوا علينا . .

عرفان : ماتخافش . . هما ما بيقبضوش على حد . . إنما احنا أفضل ننكشح من هنا قبل مايكشوحنا . .

الحريرى : على فين يا عرفان . .

عرفان : الشيخ الجهينى بيؤم العشا فى جامع المؤيد قريب من هنا . . نحضر الدرس ونصلى التراويح ونشارك فى الذكر . . حاسحرك سحور بونو من اللى خدناه م العساكر . .

الحريرى : آكل من مال حرام ؟!

عرفان : حا أديلك النص بالنص . .

الحريرى : خلى لك النصين . . أنا نازل بالمعكوس . . رايح بولاق . .

عـــــرفـــــان: ومش حترد عليا تانى .. أنا بكره هنا من الصبح .. جوا الخص .. مع ألف سلامة .. مع ألف سلامه **(وينصرف كلاهما متجها إلى مكانه)** .

اللوحة الرابعة

(حفل عرس)

(زواج ابن الشيخ الأمير لبنت إسماعيل الخشاب شاهبندر التجار .. قاعة فسيحة واسعة منقسمة إلى جناحين يفصل بينهما ساتر من القماش المخملى المزركش .. نوع من البرفان الشفاف الذى لا يخفى الكثير مما وراءه حيث تجلس النساء وكأنهن محجوبات عن العيون خلف الساتر المخملى .. وقد بدأ الحفل فى هذا الجناح ببعض تقاسيم على العود ، ثم بشارف قديمة يتبعها دفوف وصاجات ورقص إلخ .. إلخ) .

(وفى الجزء الآخر المكشوف بلا ساتر رصت المقاعد لاستقبال كبار المعازيم من المشايخ

والأهل والخلان .. يجلس الشيخ الأمير وأبو العروسة .. الخشاب يتقدم نحوه ومعه فرنسيان مدنيان يحملان ألواح تصوير وفرشًا وغيره) .

الخشاب : أهم يا مولانا الشيخ الأمير .. جبتهم لك لحدك علشان تشوفهم وتعرف .. اتنين رسامين من تلاميذ ريجو .. الرسام الكبير بتاعهم ..

الشيخ الأمير : ياشاهبندر التجار تستسمحنى إزاى واحنا فى دارك

الخشاب : .. أنت أبو العريس..

الشيخ الأمير : وأنت أبو العروسه ..

الخشاب : ريجو بعتهم لى بشفاعه علشان يرسموا الفرح بداله .. أصله مشغول وراح يرسم بنفسه حفلة وفاء النيل اللى بيحضرها السارى عسكر بونابرته .. على مدخل الخليج .

الشيخ الأمير : هما خلوا حاجة فى البلد إلا ما رسموها .. دا مفيش جامع ولا زاوية .. مافيش سوق ولا حاره ولا عطفه إلا واترسمت ..

الخشاب : أصلهم معتبرينها حملة تاريخية واستكشاف جديد لبر مصر . .

الشيخ الأمير : يرسموا يا سيدى زى ما هم عايزين . . هى جت على الرسم .

الخشاب : تعالى فهم الحريم وبتوع الزفة لحسن يمنعوهم . .

الشيخ الأمير : آليه مسيه . . آليه أفيك نو . .

(ويصحبهما ويرفع الستار عن الحفل . . وتتابع مشاهد الحفل من غناء ورقص وموسيقى) .

(بينما يجلس الرسامان الفرنسيان بلوحاتهما على الطرف الأيمن البعيد من المسرح) .

(وبعد مشاهد الفرح الذى يقومان برسمه ينصرف الفرنسيان بلوحاتهما مع نزول الساتر المخملى من القماش المزركش الشفاف)

(وفى الجانب الأيسر من المسرح ومع استمرار الموسيقى والغناء وغيره من وراء الساتر يجلس الشيخ الأمير والخشاب فى انتظار مدعويهما وأمامهما رصت صوانى

الطعام وصحاف الأكل . . . ويقبل الجبرتى ومعه الشيخ العروسى وفى صحبتهما السيد عمر مكرم والحريرى تابع الجبرتى) .

الشيخ العروسى : أنا جى أولا أهنى . . وبعدين اعتذر . .

الخشاب : تعتذر عن إيه يا شيخ عروسى ؟

العروسى : عن بقية إخواننا المشايخ من رجال الديوان . . السارى عسكر بونابرته . . جاررهم وراه فى كل مطروح . .

(وتجرى طقوس المباركة لأبى العريس وأبى العروس) .

الخشاب : ايه رأيكم . . نخلى قعدتنا وعشوتنا هنا ؟!

عمر مكرم : هو احنا جايين ناكل ياخشاب ؟

العروسى : العفو يا سيد عمر يا مكرم . . دا بعض خيرك . .

الخشاب : ولا إيه يا جبرتى . .

الجبرتى : يا حبيبنا إسماعيل يا خشاب . . احنا جايين نهنى ونمشى .

العروسى : تمشوا إزاى يا أسيادنا . . هيه دى مناسبة شويه . . ثم أن احنا برضك عايزين نتساير فى بعض الأمور الجاريه .

عمر مكرم : وما نتسايرش إلا على الأكل ؟!

العروسى : زى ما بيعمل الفرنساويه .. نقلدهم فى حاجه ..

عمر مكرم : هه .. واخبارك ايه يا جبرتى ..

الخشاب : أنا حا أجهز الطعام .. بس ما تتسايروش فى حاجه إلا على الأكل ..

العروسى : احنا طوع بنانك يا شهبندر ..

(وتوضع المأكولات بواسطة خدم الدار حتى تجهز الموائد)

الخشاب : اتفضلوا ..

العروسى : اصرف لنا الخدم والحشم بتوعك وتعالى الحق نفسك معانا ..

(ويسمع قرع الدفوف واشتعال الموسيقى)

الخشاب : استنوا شويه على الأكل .. الظاهر أن زفة العروسه بدأت ..

(وينكشف الستار المخملى عن بدايه تحرك زفة العروسة وتوقد مسارج والعريس والعروس وحولهما بقية النسوة من الأهل والمدعوين يملأون بقية المسرح متجهين

بالزفـة إلى درجات السلم لينزلوا ويطـوفون بها صالة المسرح من وسطهـا ثم من جوانبها ويخرجون جماعات متفرقة من أبواب الصالة . ومع اخـتـفـائهم نعـود الآن إلى المدعـوين الرجـال على مـوائد الطـعـام .. كل منهم يبسمل وهو يبدأ طعامه) .

العـــــروسى : اللهم ديمها نعـمـه .. هـه .. ما قلـتلـناش يا جبـرتى .. إيه رأيك فى المصيبه الكبـيره اللى جتنا ..

عـــمـــر مكرم : شواهد الأحداث تدل على أنهـا حملة إقامة يا شيخ عبد الرحمن ..

الخــــشــــاب : ماتقول لنا رأيك ..

الجــــبــــرتى : هذا الرجـل بونابرته .. داهـيــه أريب وأنا أعتبره بمثابة أسكندر زماننا ..

عـــمـــر مكرم : ما هو عـمل زيه أهه .. مش التانى برضك جه قبله مصر ..

العـــــروسى : لكن دا بيقولوا طلع بر الشام ..

الجــــبــــرتى : بعـد أن أخذ مـصـر لقمـه سـهله بمخادعـة الإنجليز .. أمثـاله من الغزاه .. لا يقر لهم

قرار إلا إذا ملكوا الدنيا . .

عمر مكرم : على كده بقى أنا مش حا أغير خطتى . . بصراحه . . أنا انتويت أغادر المحروسه وأنزل لدمياط . . بأهلى ومالى وعيالى . .

الجبرتى : فيه حاجة استجدت يا سيد عمر ؟!

عمر مكرم : يا جبرتى . . أنت أدرى بالوقيعة اللى تمت . . كلهم دسوا لى عند الفرنساويه . . وخدونى ركوبه يتقربوا بيها منهم .

العروسى : إزاى بقى ؟!

الجبرتى : الوقيعه اللى تمت جت من ناحية الشيخ البكرى لكن مش عن قصد . . دى حصلت نتيجة غفله منه . .

الخشاب : بنته هيه اللى متصله بينهم وبتوضب لهم حفلاتهم . . وهى اللى بتحضر لهم أسباب المجون

الشيخ الأمير : فاجره . . فاسقه . . ملعونه إلى يوم الدين . .

الخشاب : أبوها متبرى منها . .

الجبرتى : لكن هيه بتاخد من لسانه المطاعن عن كل

رأس كـبـيـره .. أنا نفـسـى لم أسلم من مطاعنها .

الأمـــــيـــــر : ومع ذلك بيفكروا يعينوك فى الديوان الجديد اللى ناويين يعقدوه .

الجــــبـــــرتى : مين اللى قال الكلام ده .. ؟

العــــــروسى : كل المشـايخ حـاسدينك على صـيـتك عند الفرنساوية يا جبرتى !

الجـــبـــــرتى : بفـضل صـحو بـيتى المعـقـوده مع العلمـا بتوعـهم ، أنا لى معـرفه بيهم جـميـعا.. ويمكن ده اللى مخليهم يستبعدوا المطاعن عنى ..

عـــمــــر مكرم : وبعد دا كله ومش عاوزينى أرحل .. كفايه أن بنت البكرى هيه اللى بتدسلى عندهم .. .. الكل بيقـول عليها أنها مـحظية بونابرته .. أنتو مش سمعتوا الكلام ده ..

الحـــــــريرى : **(وكان يأكل معهم)** أنا شفتهـا بعينيه وهيه داخله السـرايا مع لمـة نسـوانهـا .. والناس النهـارده بتقـول أنها قـاعدة فى السـرايا من شهور .. وفضيلتك ما بتنكرش أنه لا يطيق البعد عن النساء ليله واحده ..

الجـــبـــرتى : دى حقيقة . . لكن مش كل ما يعرف يقال . . نفسى أبت على نفسى تدوين فجوره معها وفجورها معه . . وألحقت ذلك بالشائعات . .

عــمــر مكرم : يا أخوانى . . أنا لا أقارع إلا الرجال ولا طاقه لى على مقارعه بنت البكرى . . مش كفايه أنهم لغونى ولغوا نقابة الأشراف . . أقعد أعمل إيه ؟

الأمـــيـــر : يا سيد عمر . . أنت حامى العوام ومربوط أكثر من غيرك بالمحروسه . .

عــمــر مكرم : أنا نازل دمياط وفى يقينى إن كل شىء وله نهاية . . والمركب اللى تودينى بكره ترجعنى واحضرهم وهما مطرودين لبلادهم شر طرده . . بكره تشوفوا . .

الخـــشـــاب : ربنا يسمع منك . .

الجــمــيع : آمين يا رب العالمين . . آمين . .

عــمــر مكرم : أنا أدرى بأهالى مصر . . لا يمكن أن يستسلموا على طول الخط لأى غاصب أو يفرطوا فى أرض بلدهم . .

الأمـــيـــر : أنتوا مش ناويين تاكلواولا إيه ؟!

العــــــروسى : مــا احنا بناكل أهــه . . هو فــيــه أطعم من الكلام على الأكل . .

والخـــشـــاب : أجلوا الكلام لغاية ما نشرب القهوة . .

الأمــــيــــر : إيه رأيكم فى الأكل . .

الجــــمــــيع : **(فى نفس واحد)** أطـعم من الـكلام . . **(ويضحكون)** .

اللوحة الخامسة

(فى مجـمع العلماء الـفرنسيس والمـقام فى سراى حسن الكاشف بالناصرية) .

(الحريرى وعرفان يتجولان فى المجمع)

عـــرفـــان : مشـ دا كان أصلا بيت السنارى . . واحنا إيه اللى جابنا النهارده هنا . .

الحـــريـرى : الشيخ الجبرتى قال اسبقنى على الناصريه وأنا محصلك وخد معاك عرفان علشان يتعلم . .

عـــرفـــان : أكثر من اللى اتعلمته ؟!

الحـــريـرى : اتعلـمت إيه يا حـــســـره ؟! فك الخط !! كلمتين قرايه وكتابه !!

عـــرفـــان : وحنقدر ندخل المكتبـه ومحلات اللعب اللى هما فاتحينها ؟!

الحـــريـرى : لعب إيه يا مـغفل . . دى مـعامل وقـاعات رسم وطب وفلك . . كلها بدع واختراعات

من علومهم وفنونهم . .

عرفان : وإيه قصدهم من فتحها ؟!

الحريرى : يجيبوا الناس فيهم ويسحرونا بيها . .

عرفان : إحنا ناقصين سحر . . دا كلوا عقولنا . . عاوزين يلهونا عن اللى نهبوه من البلد . . ما خلوش حاجةإلا وضعوا إيدهم عليها .

الحريرى : ورايا وأنت ساكت . .

(إذ رأى حارسًا فرنسيًا مقبلاً نحوهما . . الحريرى يخرج له « كارتا » وهو عبارة عن تصريح الدخول).

عرفان : **(وقد رأى الحرس يسمح لهما بعد أن أطلع على الكارت)** حندخل نتفرج . .

الحريرى : وندون اللى نشوفه بكل تفاصيله . . مولانا الجبرتى زمانه جى ورانا . .قدم لحسن يفتكرنا بنلعب .

(يقبلون على زواية معمل الآلات والعدد) .

عرفان : إيه ده !!

الحريرى : أبعد ما تمسكشى حاجه بايدك . .

عرفان : دول جايبين مقصات . . تعالى شوف المكن

دا كمان . . الله دول بيدورها بعجل . .
تعالى . . تعالى .

الحريرى : **(وهو يكتب)** استنى عليا أما أدون . .

عرفان : حاجة غريبه والله . . شوف الصندوق الى بيتحرك من نفسه ويطلع للسقف وينزل !!
أما عندهم تفانين !! ودا كله جايبينه معاهم ليه ؟!

الحريرى : احنا اللى نقوله نعيده يا عرفان . .

(وتسمع أصوات ويتطلع إلى الخارج)

مولانا الجبرتى وصل ومعاه الشهبندر الخشاب . . العلما الفرنساويه جايين يستقبلوهم . . على فين يا عرفان . .

عرفان : **(مبتعدا عنه)** حا أروح أتفرج على البالونات اللى بتطرقع والعصيان اللى بتعمل صواريخ . .

(ونسمع الطرقعة ونرى الصواريخ وحركة الآلات إلخ . . إلخ مما يشاهدانه)

(فى جانب آخر الجبرتى والخشاب يلتقيان بالفلكى توت والعالم رويا والرسام أريجو ومعهم العلماء) .

(توت الآن يقدمها لزملائه)

تـــــــوت : بروفيسور جبرتى .. سيد إسماعيل خشاب ..

المجموعة الفرنسية : بونجور .. بونجور .. بونجور ..

الجبرتى والخشاب : السلام عليكم ورحمه الله .. السلام عليكم ورحمه الله ..

أحـد الفـرنسـيين : بسم الله الرحـمن الرحـيم **(وهو ينطقـهـا باللكنة الفرنسية)**

الخـــشـــاب : لأ يا مسـيو .. دى ما تتـقالش إلا إذا كنت بتقابل العفاريت ..

الفـــرنســاويـين : بردون .. بردون .. بردون ..

(معتذرين لهم)

رويـــــــا : أنتم شرفتهم ..

تـــــــوت : **(للجبرتى)** تحب تتفرج عـلى الإسترلاب الكبير .. والمرصد ..

الجـــبـــرتى : ريح نفسك يا مسـيو توت .. أنا شفت كل حاجة مره واتنين وتلاته ..

أريـجـــــو : شفتوا صور بتاع جواز بنتك **(للخشاب وهو يقدمها له)**

الخشاب : الله أكبر .. دى صور فرح بنتى اللى خدها التلامذه بتوعك عندى فى بيتى .. حتنطق يا جبرتى ..ويا أخى راسمين كل التفاصيل ..

الجبرتى : (**وهو يشاهدها**) سبحان الله .. أنا متهيأ لى أننى سامع صوت المغنى جوا الصوره ..

توت : تفضلوا نجلس ونشرب القهوة .. أريجو بيحب قهوه عربى .. وما بيشرب غيرها ..

الخشاب : هيه وبنت ألحان طبعا ..

الجبرتى : لسانك يا خشاب ..

(ويجلسون إلى مائدة عليها فناجين القهوة والكنك وغيرها من الأدوات)

(الحريرى وعرفان فى جانب .. الأول يكتب والثانى منبهر بما يرى انبهار الأطفال)

عرفان : شفت الأنابيب القزاز ..والميه بالألوان .. بتفور وتبقلل ..

الحريرى : دونت منها الكثير ..

عرفان : والزرع اللى حابسينه فى القزاز ..

الحريرى : كتبت عنه ..

عرفان : طب والشرار اللى بيطلعوه م الأرض .. دا إيه دا كله !! شغل حواه وملاعيب شياطين ..

الحريرى : اتفرج وأنت ساكت .. ماتطولش لسانك ..

عرفان : يا عم ما هو سايبنا على حريتنا أهه .. خلينا نتفرج على كيفنا ..

الحريرى : اتفرج زى ما أنت عاوز .. بس من سكات ..

(ومع الجالسين على المائدة يتناولون القهوة)

توت : باردونيه موا شيخ جبرتى .. أنت فى كتاباتك بتتهمنا بالظلم ..

الجبرتى : مش أنتم .. العساكر بتوعكم .. وأنا من طبعى لا أحب صنف العساكر .. ولا أطيق العسكره وشرائعها ..

رويا هذا مفهوم ..

الخشاب : احنا بنحب بلدنا زى إنتوا مابتحبوا بلدكم ..

أريجو : لأنكم تحبون الحريه .. كل إنسان لا يجب أن يستعبده أحد .. ولكن .. أهم ما ينقصكم هو التسوية بين الرعيه ..

الجبرتى : هذا من فعل حكامنا ..

رويا : ونحن جئنا لنخلصكم منهم ..

الخـــشـــاب : وتحكموا بعساكركم بدلا منهم .. ولا إيه يا مسيو أريجو ..

أريجـــــو : أنا منصرف بكل اهتمامى للرسم .. وسبب مجيئى هو من أجل الحضاره .. وحب الحقيقه وعشق الجمال ..

رويـــــا : وكمان حب الحرية والتسويه والأخوه .. ليبرتيه .. إيكواليته .. فراتيرانتيه مبادئ ثورتنا ..

الخـــشـــاب : ورغم ذلك فنحن لانقبل وجودكم ولا نرضى حكمكم وسيطرتكم على بلادنا ..

تـــــوت : وجودنا عندكم من أجل الحضارة ونقل المعرفه وتمدين البلاد وأن ننصف أهلها من أيدى وجور المماليك .

الخـــشـــاب : هذا لا يبرر غزوكم لديارنا .. مصرنا الحبيبه ..

رويـــــا : القطر المصرى من أهم الأقطار بالنسبة للحضارة الإنسانية كلها .

الجـــبـــرتى : دا من وجهة نظركم أنتم كعلماء .. لكن الحقيقة ، أنه مهم بالنسبة لرجال السياسه والحرب ..هو إنتوا جيتوا هنا عندنا إلا

علشـان تنافـسوا الإنجليـز وتقطعـوا عليـهم السكه لبقـية بلاد الشرق اللى إنتـوا عاوزين تستولوا عليها . . مثلهم وقبلهم .

رويـــــا : هذا صحيح يا شيخ عـبد الرحمن . . وأكيد ولكن . . نحن لنا فى غزو مصـر رغبة قوية لتـمدين أهـلها والوصـول بهم إلى مـراقى التقدم والحضارة . .

تـــوت : انظروا حولكم فيما جلبناه معنا لكم .

(ويشير بإصبعه حول المكان)

الخـــشـــاب : جلبتوه من أجل أنفسكم . . لا من أجلنا .

أريـجـــو : شيخ جبرتى . . أنا رأيى لا داعى لهذا الكلام . .

الجـــبـــرتى : وليكن . . وعـمـلا بمبـدأ الحـريه . . فكل إنسان حر فيما يدركه عن الآخر . .

تـــوت : المهم أن يسود بيننا السلام . .

(تسـمع طرقعـة من نهاية القـاعة وخـروج بعض الشرارات من جهاز لإطلاق الصواريخ يستعمل فى الحفلات وكـان عرفان يقف أمامه ومعه الحريرى وهو يسجل . . ويـحدث للجالسين انزعاج وحـارس يجرى ناحـية توت مناديا)

الحـــــارس : بروفيسور . . بروفيسور توت . .

تـــــوت : إيه الحكاية ؟!

الجــبــرتى : **(مناديا الحريرى ومتجها ناحيتهم)**

حصل إيه يا حريرى عندك ؟!

الحــــريرى : عرفـان يا مولانا مش قـادر على نفسه . .

شاف مواسير الصواريخ اللى بتطق شرار . .

قال دول بيستعملوها فى الحفلات . . ضغط

عليها . . طلعت شرار . .

الجــبــرتى : **(وقد لحـقـوا بـه ناحية عـرفـان والحريرى)**

لا مـؤاخذه يا جـماعـه . . الراجل اللى أنا

جيبه معايا ده . . أصله مش فى وعيه . .

الحــــريرى : مجنون . .

الجــبــرتى : **(يعاتبه)** كده يا عرفـان . . الحق عليه أنى

عاوز أنورك وأرفع مداركك.

عـــرفـــان : أصل الحاجات دى شـفتهم بيسـتعملوها فى

الحفلات . .

الجــبــرتى : واحنا هنا فى حـفلات . . بردون . . بردون

يا أخواننا يا فرنساويه . .

الخـــشـــاب : من الأفضل تستأذن يا جبرتى . .

الجبرتى : احنا عاوزين نستأذن . .

توت : **(وكان أحد الحراس قد جاء وأسر فى أذنه بكلام)** ممنوع . . مش ممكن . . استنى شيخ جبرتى . .

الجبرتى : هو حصل حاجه . .

توت : دى زياره رسميه . . كان مفروض نستقبلكم بالعسكر والموزيكا لكن الموزيكا اتأخرت لأنكم حضرتم قبل موعد . .

الخشاب : مش أحسن ماكنا نتأخر عليكم . .

الجبرتى : يعنى إيه . . عاوزين تخرجونا بالمزيكه . .

(وفى تلك الأثناء تضرب الموسيقى السلام الفرنسى « المارسيليزيه » ويدخل طابور من العساكر ليسير الجبرتى خارجًا هو ومن معه وسط الطابور والعساكر رافعين سيوف التحية)

الخشاب : لزمته إيه بس الكلام دا كله !!

الجبرتى : دول عملوا لنا فضيحة . .

توت : السير عسكر بونابرته . . على علم بهذه الزيارة وهو الذى أمر باستقبالكم ووداعكم رسميا . .

الخـــشــــاب : فى وسط العساكر . . واحنا ناقصين عساكر . .
ماكفايه اللى مالين القطر من أوله لآخره . .
دا إ
نتوا رشيتوا البلد عساكر !! **(وتختم اللوحه على تكرار النشـيد . . أو بنشـيد عـسكرى**

الجزء الثانى

(اللوحة السادسة)

(تمهيد بالثلاث دقات على خشبة المسرح أو ضرب على سنج أو طبل) .

الجبرتى : وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الأول عام ١٣١٤ هجرية ورد من بونابرته سار عكسر الفرنساوية كتاب من الإسكندرية لأهل مصر وسكانها . . وفيه أنه سافر إلى البلاد الفرنساوية لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر . . وسيعود بإذن الله ليقطع دابر المفسدين وأن المولى على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعاً « كليبر » سار عكسر دمياط . . فتحير الناس وتعجبوا فى كيفية سفره ونزوله البحر مع وجود مراكب الإنجليز ووقوفهم بالثغر ورصدهم الفرنساوية

من وقت قدومهم الديار المصرية صيفا وشتاء ولكيفية خلوصه وذهابه . . أنباء رحيل لم أقف على حقيقتها لأن الرجل داهية من دواهى الزمن .

(أثناء روايه الجبرتى يعد المسرح للمشهد القادم باكسسواره وممثليه . . وهم حشود من الأهالى تصل إلى الساحه ويحملون أعلام الطوائف) .

(نحن الآن داخل أسوار القاهرة القديمة أمام باب الفتوح)

البشتيلى : ما تتلموش كده على بعض . . كل طايفه تقف فى ناحية وممنوع الضجة . . حسب مارسم السيد عمر مكرم والسيد أحمد المحروقى قبل مانتزل من حوالين القلعة حنترص هنا بالمتاريس بين بوابات المحروسة . باب الفتوح وباب النصر . .

عرفان : والمجاميع اللى بره فى الجمالية يا حاج بشتيلى . .

البشتيلى : يدخلوا يترسبوا معانا بمتاريسم . . افتحوا لهم البوابه . .

الحـــــريـرى : (**مشيرا عليهن**) والغوازى دول اللى دخلوا من ناحيه الغوريه . .

البـشــتـيلى : إنتوا إيه اللى جابكم الساعة دى . .

غــــــازيـه : احنا نازلين من الرمـيله . . كنا بنجهـز على العساكر الفرنساويه مع أهل الرميله .

البـشــتـيلى : حتى الغوازى حتحارب كمان . .

أحـد الحـرافـيش : مش لوحديهم يا حاج بشتيلى . .

البـتـشـيلى : وإنتوا إيه كمان ؟!

حــــرفــــوش : جماعة الحرافيش ومعانا المحبظاتية وأصحاب الملاعيب . .

البـشــتـيلى : احنا حنحارب مش حنرقص ونغنى . . شيخ حريرى رجـعهم على الزاويه القـبلية . . ولا أقــول لك . . خــدهم يسـلوا الحــدادين والنجارين وخلافه . .

عــــرفـــــان : (**يحضر**) فتحنا البوابه ودخلنا بتوع الجماليه . . رجالة الطوايف عاوزينك فى كلمتين يا حاج . .

البـشــتـيلى : هو دا وقت كلام !!

رئيس طـايفـــه : يا حــاج احنا عــاوزين نفـهم إيه الحكاية من أولتها لآخرتها !

(تسمع أصوات الغوازى وأصحاب الملاعيب وضرب على سنح وطبول)

البشتيلى : إيه الأصوات دى ، مش عاوزين ضرب سنج ولا طبول . .

عرفان : بطلوا الأصوات وكله يقف مكانه لحد ما يوصل السيد عمر مكرم

رئيس طايفة(١) : **(للبشتيلى)** طب بس جنابك فهمنا الحكاية . .

البشتيلى : أنا ماليش جناب : هو إنتوا مش كنتوا فيها من الأول . . ما حضرتوش الكرشه اللى عملها كلير ؟! **(مخاطبا بقية رؤساء الطوائف)**

رئيس طايفة(٢) : لما عرض الجيوش فى القصر العينى عشان يخوف البلد أول ولايته . .

البشتيلى : وبعدها عملوا إيه ؟

رئيس طايفة(٣) : ليلاتى سهرات صباحى ، وملوا البلد بالغوازى والشمحطيه والقصد افساد الأهالى . .

البشتيلى : وعلشان يغطوا على سفر بونابرته . .

رئيس طايفة(١) : بس دى مش أصل الحكايه يا حاج . .

عرفان : مانفعتش الملاعيب دى كلها . .أصلهم كانوا شاعرين بالضعف .

الحريرى : ما عدلهومش فلص .. الإنجليز أصلهم خانقينهم من ناحية البحر .

البشتيلى : طب يعملوا إيه ؟! دخلوا العلما والمشايخ فى عبهم بالديوان المخصوص اللى عملوه .. وركبوا فيه الشيخ الشرقاوى ..

عرفان : والمشايخ الناس بقت تضربهم فى الشوارع وتتف على دقونهم ويقلعوهم الجيب والقفاطين .

الحريرى : السيد عمر وصل .. ومعاه السيد أحمد المحروقى ..

(وأثناء الضجة التى يحدثها وصوله)

البشتيلى : الظاهر أنهم طالعين بيت القاضى .. اسمعوا يا أخوان احنا مالناش النهارده غير التجار والأعيان ..

عرفان : قول لى يا حريرى .. هو مش السيد عمر كان هاجر لدمياط ..

الحريرى : بحر إرادته ، ولما الحاله اتكربست رجع ..

البشتيلى : وسع يا جدع أنت وهو .. وسع أفسح طريق ..

(يسير السيد عمر والمحروقى وسط صفوف الأهالى ويصعدان هما ومن معهما إلى بسطة سلالم بيت القاضى) .

رئيس طايفة : عاوزين نعرف مدلول الحاله يا سيد عمر . .

عمر مكرم : الإنجليز سدت عليهم بواغيز البحر . .

البشتيلى : مش قلت لكم . .

رئيس طايفة : خلينا نسمع يا حاج . .

عمر مكرم : والعثمالى هجموا عليهم ووصلوا للصالحيه . .

المحروقى : والمماليك اللى فى الصعيد مماليك المراديه اتقوت . .

عمر مكرم : والعلماء والمشايخ لحسوا عهودهم معاهم . . تفتكروا يعملوا إيه ؟!

رئيس طايفه : يفشوا غلهم فى الأهالى . .

عمر مكرم : هو دا اللى حاصل بالضبط . . دبروا فتنه وادعوا أن المسلمين بتقتل فى النصارى . .

جرجس : **(وهو من الأهالى المتجمعين)** أبدا ماحصلش . . احنا عمرنا ما نقتل فى بعض . .

البشتيلى : عارفين يا عم جرجس . . الفتنة سببها النصارى الشوام . . كانوا عاوزين يستولوا على الأسواق . .

جـــــرجـس : أقبـاط مصر ومـسلمينهـا .. كلنا .. أمان
أمان .. سوا .. سوا ..
(ويشبك إصبعاً بإصـبع من كلتا يديه علامة الأخوة)

الكـل يـقـلـونـه : أمان أمان .. سوا سوا ..
أمان أمان .. سوا سوا ..
(وينصرف عمر مكرم والمحروقى إلى داخل بيت القـاضى وهـمـا يرددان نفس الإشـارة مشيرين للاهالى)

عــمـــر مكرم : أمان أمان ... سوا سوا ..

المحــــروقـى : أمان أمان .. سوا سوا ..
(ويعـود الناس إلى أمـاكنـهـم .. منهم من يسـاعد فى بناء المتـاريس ومنهم من يعـمل على صنع البارود إلخ .. إلخ)
(بينما الجبرتى .. وهم يصنعون ذلك يروى)

الجـــبـــرتـى : .. **(راويا)**
وفى يوم السـبت ٢٥ منه .. تهـيـأ كـبـراء العـساكر وجـميع أهل مـصر للـحرب .. وسكن الكثيـر من الناس فى البيوت الخـالية

والبعض خلف المتـاريس .. وأغلقوا أبواب المحروسة على أنفـسهم .. وصار كل شىء يصنع فى بيت القـاضى .. وأنفق المحروقى أمـوالا جـمة وبذل السيد عـمر مكرم جهودا لا تحصى ولا تعد .. وكان لا ينام الليل ..

(وتنتـــهى اللوحـــة على جـمـــوع الناس يواصلون العمل لإنشاء مدافع وصنع بومبات واحضـــار الأخشـــاب وفروع الشـــجر لـوقود الحدادين وعجلات النجارين) .

اللوحة السابعة

(على ناصيـة الغورية .. البشتيـلى وعرفان فى أسفل سور جامع الـغورى .. ويناديهما من أعلى الشارع غازيتان وبعض الحرافيش)

غـــــازيـة : اطلع يا حاج ..

الأخـــــرى : اطلع يا عم ..

الـغـــازيـة : أمان أمان .. سوا سوا ..

عـــرفـــان : برضك حنمشى ورا الغوازى والحرافيش وأصحاب الملاعيب ..

الأخـــــرى : مالهم الغوازى !! احنا مش حارينا معاكم ..

حـــرفـــوش : اطلع ياجدع من الخن اللى إنت فيه بلاش مقاوحة ..

البـشـتـيلى : اطلع يا عرفان ..

عـــرفـــان : **(وهم يخـرجونه)** بس نفهـم .. عاوزين يخبونا فين ؟!

حرفوش : عندنا ميت خبايه وخبايه . .

غازية : أمان . . أمان . . سوا سوا . . (**وتشبك إصبعي يديها**)

عرفان : وكان إيه لزمة اللى حصل دا كله ما دام راح فشوش .

حرفوش : فاشوش إزاى يا جدع أنت . .

عرفان : معناه إيه ؟!

البشتيلى : معناه إن فيه بلد اسمها مصر . .
أصحابها هما أهاليها ولا يمكن فى يوم من الأيام حيسيبوها لحد تانى يملكها ويملك أراضيها غيرهم . . مهما تجبر عليهم أو اتحك فيهم .

حرفوش : هيه الناس سلمت للفرنساويه !!

آخر : الناس طاوعت الأتراك ولا أمنت المماليك ؟!

غازية : أمراءنا المصرية . . لاهم فى العير ولا فى النفير . .

حرفوش : الناس كانت بتحارب علشان البلد بلدهم . . مسلمين وأقباط . . بلدهم وبلد أولادهم اللى حيعيشوا بعدهم فيها .

حـــرفـــوش : مش هو دا اللى حصل يا عرفان ؟!

البـشـتـيلى : الدنيا ما وقفتش عند النهارده . .
والللى حصل امبارح حيحصل أكثر منه . .
بكره وبعده وبعده وبعده لغاية البلد ما تبقى
لأهاليها . .

غـــازيـة : احنا حنقف نهاتى والفرنساويه وجواسيسهم
مالين الدنيا ؟

البـشـتـيلى : وأنا لو شافونى . . حيعرفونى . .

غـــازيـة : راقمينك وسط الكل . . خد اتخفى . .

البـشـتـيلى : إيه دا يا ست اللى بتحطيه عليه . .

عـــرفـــان : الحرام بتاعها . . بتغطيك . .

البـشـتـيلى : إنتوا حتقلبونى غازية ولا إيه ؟!

الغـــازيـة : معلش . . بس على ما نوصل للخبايه . .

عـــرفـــان : والخبايه دى فين ؟!

الغـــازيـة : فى زؤر العطفة اللى هناك . . على اليمين .
. قصد الكحكيين بيت فاضى . .

حـــرفـــوش : واحنا حنقف نحميكم ونحرسكم . .

غـــازيـة : بينا قوام قبل حد ما يلمحنا . .

(وتسير الجماعة إلى ناحية العطفة) . .

عــــرفــــان : اتفـرقـوا عن بعض لحـسن يشكوا فـينا . . خليكوا بعيد .

(ويسمعون خلفهم أصوات صهيل خيل)

حــــرفــــوش : الظاهر أن فـيه مـوكب عـسكرى داخل بين القصرين . .

آخـــــــــر : دا ترجـــمـــان كليـــبـر . . رايـح الديوان المخصوص . .

(ويلحقا بالباقين ليختفوا جميعًا) (وتصف المقاعـد الآن لجلسة الـديوان والجبرتـى يقوم بروايته)

الجـــبــــرتى : . . **(يروى)**

وأصبحَ النهار ،فـركب العلماء والمشايخ بناءً على استـدعاء كليـبر ليحـضروا الديوان . . وكـان قد رفض مـقابلتـهم . . وأوكل بهم ترجمانه . .

(مـجلس الديوان . . والترجـمان يقـرأ من الأوراق فى يده)

التـــرجــمــان : حضرات العلمـا المشايخ . . كل من فى البر لازم يعلم بأن السـارى عـسكر كليـبـر . .

يعمل بالشفقة والرحمة بالناس .

الشرقاوى : دا كان يجب يكون من الأول . .

الترجمان : شيخ شرقاوى . . مافيش داعى للمقاطعة . . سارى عكسر كليبر يريد أن ينعم بالعفو العام و الخاص على أهل مصر .

أحد المشايخ : دى علامه من علامات الخوف . .

شيخ آخر : الهوجه هزتهم . .

الترجمان : سمع هس . . والسارى عسكر كليبر يطلب من الأهالى أن يشتغلوا بمعايشهم وصنائعهم . . ومن العلماء والمشايخ أنهم يطوفون بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعيه بالاطمئنان والأمان . .

الشرقاوى : يا حضره الترجمان . . أنا بصفتى رئيس الديوان . . أحب أن تبلغ كليبر . . أن الأهالى لم تخرج عن الطوع إلا بسبب تفشى الظلم وكثره المظالم .

الترجمان : (**يقرأ من الأوراق**) السارى عكسر يقول : أننا لم حضرنا إلى بلدكم هذه لنظلم . . نظرنا إلى أهل العلم على أنهم أعقل الناس

.. والناس بهم يقتدون . .ولأمرهم يمتثلون.

الشرقاوى : الغلطة غلطتكم .. وفى الأحادث الأخيره بالذات .. والشاهد على ذلك ، تقرب كليبر لمراد ومماليكه .. ومصالحته العثمالى والبرديسى والألفى .. ونحن ما قمنا مع العثمالى إلا بناء على أمركم لأنكم عرفتمونا أننا صرنا فى حكم العثملى من تانى شهر رمضان اللى فات ..

الترجمان : ولماذا لم تمنعوا الرعية من محاربتهم لنا ؟

الشرقاوى : لا يمكننا ذلك .. لقد عيرونا وبهدلونا وتعدوا علينا عندما أشرنا عليهم بالصلح ونبذ القتال ..

الترجمان : إذا كان الأمر كذلك ولا يخرج من يرسم تسكين الفتنه أيش يكون نفعكم ولا يأتينا منكم إلا الضرر ..

أحد المشايخ : (**واقفا**) دا كلام كليبر !

الترجمان : بالحرف الواحد ..

شيخ آخر : إنتوا جمعتونا ليه النهادره من غير كتر كلام ؟

التـرجـمـان : لابد من مجازاتكم كلكم .. ولن نقتل أحد .. ولكننا سنأخذ منكم الأموال والغرامات ..

شـيـخ : هو دا القصد ..

التـرجـمـان : مطلوب منكم .. والكل على حد سواء .. عشره آلاف ألف فرنك يدفعها العلما والمشايخ .. ما عدا السيدين عمر مكرم وأحمد المحروقى ..

شـيـخ آخـر : واخدين اعفا ..

التـرجـمـان : دول لهم شأن تانى .. كل واحد منهم يدفع خمسمائة ألف فرنسه مع ثلاثة عشر خزنه رومى وخمسة عشر خزنه مصرى .. وتستبقيهم رهينة لحين دفع الغرامه ..

الشـرقـاوى : ودا كله حنجيبه منين ؟

التـرجـمـان : تدبرون رأيكم فيكم .. وتوزعونه على أهل البلاد .. انفض المجلس ..

الجـبـرتـى : **(يروى على انتقال لبيت السيد عمر مكرم)** وبعدها رجع إلى مصر أكثر الفارين لضيق القرى وانعدام ما يتعيشون به فيها .. وانزعاج الريف بقطاع الطرق وكثرة الأعراب

والقتل والنهب والسلب . . واتمرت الطرق في مصر مقفزة والغرامات طالعه نازله على الرءوس . .

(السيد عمر مكرم مريض وينام على فراش والجبرتي يعوده)

الجبرتي : أناتوك ما علمت برجوعك . . سلامتك . . شد حيلك . .

عمر مكرم : أدركتني الأهوال في الأرياف . . أهالي القرى يعيشون في بؤس وشقاء ورعب لا ينتهي . .

الجبرتي : ويعني الناس اللي هنا عايشين في نعيم . .

عمر مكرم : على الأقل بيلاقوا القوت الضروري . .

الجبرتي : ياريتك ما رجعت الأيام دي . . أنت عارف الغرامات اللي فرضوها عليك أنت والمحروقي . . لكن الحمد لله . . الناس جمعت لك دينك ودفعوها قبل ما يسجنوك . .

عمر مكرم : والمحروقي . .

الجبرتي : بركات السيد البدوي أدركت . . دفعوها له أهله في طنطا . .

عـــمـــــر مكرم : الخزوق يا جبـرتى . . فى البرديسى والألفى وجماعات العثمالى رجعوا يتسربوا جوا البلد من تانى . .

الجـــبـــــرتـى : مـا هو دا كان لابد يحـصل . . الفرنسـاويه طمـــعــوهم من الأول ومع ذلــك . . خـد الحكمه من أفواه الأهالى . . بيسموهم ولاد عم الفرنساويه . .

عـــمـــــرمكرم : لكن العلما والمشايخ المره دى أثبتوا وجودهم .

الجـــبـــــرتـى : نفوس الناس هيـه اللى فاضت . . والأهالى اتقـوا ووقـفوا على رجـليهم . . مـغـالق التاريخ فتحت أمامهم . .

عـــمـــــر مكرم : كلامك بيعجبنى قوى يا شيخ عبد الرحمن . .

الجـــبـــــرتـى : أنا أعايش الأحداث بكل مدركات عقلى . . وأكاد أرى اليوم ما يحتمل حدوثه فى الغد . .

(صوت لاهف مقـبل من الخارج فى اندفاع داخل الحجره)

الـصـــــــوت : يا سيـد عمـر . . يا سيـد عمر . . الـشيخ الجبرتى . .فين الشيخ الجبرتى .

الجـــبـــــرتـى : مالك يا حريرى . .

الحـــــــريـرى : نادره ليس لهـا مـثـيل . السـارى عكسـر كليبر . .

عـــمـــر مكرم : سافر هو راخر . .

الحـــــــريـرى : قتل . . مات بطعنة خنجر . .

عـــمـــر مكرم : كارثه . . مصيبه كبيره . .

الجـــبـــرتى : ومين اللى قتله . .

الحـــــــريـرى : لسه مـاباناش . . لكن الفـرنساويه بيـهددوا بقتل كل أهل مصر . .

عـــمـــر مكرم : (يحاول القيام من فراشه) أهو دا اللى كان ناقص . . حـقا بطلوا ده . . واسـمعـوا ده ياولاد . .

الجـــبـــرتى : صحتك يـا سيد عمر . . صـحتك أهم من كل حاجـه . . معـايا يا حريرى نرقـده فى السرير . .

(ويعيدانه إلى مرقده)

اللوحة الثامنة

(عطفة متفرعة من ساحة المشهد الحسينى)
(عرفان والبشتيلى جالسان على حجر فى العطفة)

عرفان : إيه اللى بيحصل دا كله يا عم مصطفى يا بشتيلى ؟! دا أنا زرقت من وسط الناس بالقوه . .

البشتيلى : المشهد الحسينى على آخره . . اتكعبلت مرتين على ما قدرت أخرج من الزحمة . . أأقعد بينا هنا على الحجر نشم نفسنا . .

عرفان : شفت السار عسكر عبد الله مينو لما دخل الجامع جرى . . يا ترى خايف من إيه بعدما أشهر إسلامه . .

البشتيلى : الراجل دا نيته خالصه . . منع الرقص وحرم اللهو والخلاعة على عساكره . . والقرآن بقى

بيتقرى فى كل مطرح .

عرفان : حاجة عمرها ما حصلت من يوم ما حطوا رجليهم فى البلد . .

البشتيلى : وزى ما أنت شايف جى مهتم قوى بالكسوة وطلعة المحمل . .

عرفان : بصراحة . . احنا عمرنا ما شفنا رمضان أنظم من السنة دى . . الله . . الله (على مقدم عسكريين فرنسيين يجريان) حوش يا حاج . . اتنين عساكر هاجمين علينا !!

البشتيلى : مش هاجمين . . دول جايين يحتموا بينا . .

عرفان : إيه حكاية العساكر بتوعهم اليومين دول . .

البشتيلى : بيقول لك أنهم بيهربوا من جيوشهم . . اتنين منهم خرجوا للصحرا طفشانين ومارجعوش . .

عرفان : زهقم وتعبهم . . هما بيشاوروا على إيه يا عم الحاج . .

البشتيلى : عاوزينا ندلهم على الطريق . . فاكرين العطفه مسدوده . . شاور لهم . . شاورلهم يمشوا ويحودا على اليمين . .

عـــــرفـــــان : ويروحوا فين ؟ ! **(وهو يشيـر لهم بذراعه الأيمن وأصابعه)**

البـشـتـيلى: فى ستين داهيـه .. هما أحـرار .. خليهم يهجوا ويهربوا ..

عـــــرفـــــان : **(يتطلع إلى مـدخل العطفة)** حاج بشـتيلى .. عـسكرى جى يتـطوح زى مـا يكون سكران ..

البـشـتـيـبى : دايح ومفرفر .. دا بيضرب لنا سلام .. لا يكون واحـد من المجـانين الـلى عـزلهم فى الخانكة ..

عـــــرفـــــان : الله .. عم مـصطفـى .. دا وقع من طوله على الأرض ؟!

البـتـشـيلى: يمكن خد لطشة شمس من الوقفه ..

عـــــرفـــــان : الفرنسـاويه ماكنوش كـده أول ماجم .. إيه اللى حصل لهم .

البـشـتـيلى: بيقول لك أن فيه ناس كتـير مشتاقين يرجعوا بلدهم .

عـــــرفـــــان : تلاقيـه دا واحد منهم .. ايـدك يا حاج .. نرفعه من الأرض .

البشتيلى: قوم يا عسكرى . .قوم اقف على حيلك .. قوم .. (**يقف**)

عرفان : (**يسنده**) أيوه كده بالضبط .. تقدر تمشى ..

العسكرى : (مقهقها فى هسيترية واضحة) مرسيه .. مرسيه ..

عرفان : باينه بيتشكر لينا .. دا بيبرق عنيه ويضحك..

البشتيلى: الظاهر أنه عاوز يهرب .. شاور له على الحواديه اللى فى آخر العطفة زى التانيين .

عرفان : (**يدفع به مشيرًا**) فيت يا خواجة .. فيت (**والعسكرى يجرى**)

البشتيلى : الظاهر أن آخرتهم قربت .. بينا نرجع الحسين تانى ..

عرفان : مانقعد على قهوة أحسن من الزحمة ..

البشتيلى: هى فين القهاوى .. أنت ناسى أنهم قافلينها علشان رمضان (**وهما متجهان إلى ناحية المشهد الحسينى**)

عرفان : (**يستوقفه**) أنا عندى لك سؤال يا حاج .. يكونوش عاوزين يهريم لأن كبيرهم أسلم وهما ضد الإسلام ؟

البشتيلى : طب تقول إيه فى اللى هربوا من القلعة . . ولا اللى هلكوا فى الصحرا . . والمرصوصين جنب مجاذيب وبياكلوا ويشربوا معاهم . .

عرفان : دى تبقى حالة جنان وهوس . .

البشتيلى : جنان بس . . دى لوسه . . جت لهم من كتر بعدهم عن بلدهم وتحريم الخمور والخلاعة والفجور . . فاهم . .

عرفان : أنت أدرى يا حاج . . جايز . .
(ويختفيان)

الجبرتى : **(راويا)** . . وفى الرابع والعشرين من رمضان ضربت مدافع كثيرة على طول النهار وقرأوا على العلماء ورقة فى الديوان عن ورود مركبين عظيمين من فرنسا وأن بونابرته استولى على بلاد النمسه وتأتى مراكب أخرى ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم غيرهم فيها .

(فى أثناء رواية الجبرتى يعد المسرح للمشهد

التالى على شرفة بيت السيد عمر مكرم أمام المساحة الواسعة المواجهة لبيت القاضى حيث يتجمع الأهالى)

عمر مكرم : حمد الله على السلامة يا محروقى . .

المحروقى : أنا جى عليك من إسكندرية طوالى . .

عمر مكرم : ما عندكش خبر عن اللى اتقال فى الديوان على المركبين الفرنساوى الكبار اللى وصلم . .

المحروقى : حاجه عاديه . . تمويه علشان يخفوا ضعفهم . . إلى مش عادى بقى يا سيد عمر . .

عمر مكرم : حصل حاجة ثانى . .

المحروقى : أسخم وأضل سبيل . أول امبارح وصل إسكندريه ميه وعشرين مركب إنجليزى . .

عمر مكرم : يا خبر باين ؟!

المحروقى : ومش بس كده . . دول ابتدوا ينزلوا حملتم ويحطوا رجليهم على السواحل . .

عمر مكرم : يعنى يقينا فى حرب الفرنساويه ضد الإنجليز . .

المحروقى : الحاجة الغريبه يا سيد عمر . . أن الحاله كلها مكشوفه للأهالى . . بص شوفك بعينك .

(تتلاحق تجمعات الأهالى .. نفس حشود اللوحة الأولى تصل متقاطرة إلى الساحة أمام البيت)

أحدهم : يا سيادة النقيب .. الحقنا يا سيادة النقيب ..

عمر مكرم : إنتوا إيه اللى مجمعكم بالشكل ده ..

أحدهم : ياسيادة النقيب .. الحقنا يا سيادة النقيب ..

آخر : الغزو الجديد الثانى ..

أحدهم : الإنجليز نزلوا إسكندريه وملكوا السواحل ..

المحروقى : وكمان مجرجرين حريمكم وراكم ..

عمر مكرم : وإيه دا كله اللى شايلينه ..

امرأة : كل واحدة تملك حاجة جابتها ..

أخرى : أنا جبت مصاغى ..

ثالثة : وأنا يا أختى جبت الهدمتين اللى عندى

أخرى : وأنا شلت اللى أقدر عليه ..

المحروقى : لزمته إيه دا كله ..

أحدهم : أصلهم خايفين م الغزوه الجديده .. حتبقى الحمله حملتين ..

آخر : على قولك .. حملة فرنساوى .. وحمله إنجليزى ..

امـــــــــرأة : هو احنا ناقصين حملات . .

أخــــــــــرى : مش كفايه العذاب اللى اتعذبناه . .

ثـالـثـــــــــة : تلت سنين طوال عراض . .

امـــــــــرأة : وكل سنه بميت سنه . . مابطلوش مناقره . .

واحــــــــــد : وحيوصلوا امتى الإنجليز يا سيد عمر . .

عــمـــــر مكرم : كلام إيه الفارغ اللى إنتوا بتقولوه ده . .

أحــــــــــمد : يا سيد عمر . . جمـعية الديوان معقودة من الفجر . .

المحــــــــروقى : طب اهدوا واطمئـونا لغايه مـا نشوف أصل الحكايه .

(ومن بعيـد يقدم البـشتيلى مناديـا مختـرقا الصفوف)

البــشـــتـــيلى : يا سيد عمر . .

عــــرفـــــان : يا سيد عمر . .

عــمـــــر مكرم : تعالى يا بشتيلى . . عندك أخبار . .

البــشـــتـــيلى : الفرنساويه على عادتهم . . نزلوا منشور . . بيتوزع فى كل مطرح . .

المحــــــــروقى : معاك المنشور . .

عــــرفـــــان : أهه . . معايا أنا أه . . **(ويخرجه من جيبه)**

عـــمـــر مكرم : عنيـه تعـبـانه . . خد اقـرأه أنت يا سـيـد محروقى . .

مـــحـــروقى : **(يقرأ المنشور)**

بسم الله الرحــمــن الرحــيم والصــلاة على محمــد سيد المرسلين من السار عــسكر عبد الله جاك مينو إلى أهالى مصر . .

تعلمون أن الإنجليز الذين يظلمون كل أجنبى ظهــروا فى الســواحل وإن كانوا يــتجــرأون ويضعون أرجلهم فى البــر فيرتدوا فى الحال إلى البحر . . والعثمانيين أيضا متحركون فى البر كهؤلاء الانجليز . .

عـــمـــر مكرم : الظاهر أن مينو هو اللى كاتبـه بنفسه . . كل يا محروقى . .

المحــــــروقى : يا أهالى مصر . . إننى أخــبركم ألا تسلكوا طريق الخائفين وليس مطلوب منكــم غير أن تبقوا مستريحين فى بيوتكم . . ومقيمين فى أشغالكم وأعراضكم . .

عـــمـــر مكرم : سامعين . .

واحـــــــدة : وإنت اللى بتقول كده ياسيد عمر !! ؟

واحـــــد : ونسيب لهم الحبل على الغارب . . دى بلادنا . .

أخـــرى : لا هى أرضهم ولا أرض الإنجليز . .

امـــرأة : يارب تجيب العواقب سليمه . .

البشتيلى : احنا فى طاعتك ياسيد عمر . . تأمر بإيه ؟!

عمر مكرم : ارجعوا بيوتكم . .

المحروقى : واحنا حنتابع الحاله . . ونشوف الحرب حتسفر عن إيه . .

واحـــــد : إزاى يا سيد عمر . .

عمر مكرم : مافيش فى ايدينا الساعة دى غير كده

عرفـــان : (يدفعهم لمغادرة المكان) ياالله ياست إنتى وهيه وهو . . كل واحد يرجع بيته . .

البشتيلى : **(رافعا ذراعه)** على حسب ما أمر السيد عمر مكرم . .

(والناس ينصرفون زرافات ووحدانا)

الجبرتى : **(راويا)** ، وانكشف الغبار عن هزيمة مراكب الفرنسيس فى أبى قير . . وألصق بليار قائمقام مينو ملصقات وقعها بامضائه . . اكتب يا حريرى . . أنا مستعجل . . ابقى

اقـرى بعـدين ولا أقـول لك . . اروى إنت بنفسك . .

الحـــــريرى : قضت إرادة الله تعالى بالصلح ما بين عكسر الفـرنساوية وعـسـاكر الإنجليـز والعـساكـر العثمانيـة . . فاحرصوا مع هذا الصلح على أنفـسـكم وأديـانكم ومـتـاعكم مـاحـد يقـارشكم فى شىء . . ولكن الحــريه كل الحريه (الحريرى معلقا) حريه !! حريه بعد إيه !!

(فى أثناء الرواية يعـد المسـرح للعـودة إلى منزل عمر مكرم)

عـــمــر مكرم : أنا بـعت فـى طلب الجـبـرتـى على وجـه السرعة . . عاوزه يفسر لنا حقائق الأحوال . .

المحـــــروقـى : أنعم وأكرم . . أعطيت القوس باريها . .

عـــمــر مكرم : مع أنه مختفى بقى له مده . .

المحـــــروقـى : الحـمـد لله . . أهــو وصـل بالسـلامـه . . قرب يا شيخنا الجليل .

عـــمــر مكرم : سـلامتك . . مـاكناش نعرف أنك مـريض للدرجة دى . .

الجـــبـــرتي : ويا ترى عللتم بإيه سبب انقطاعى ؟!

عـــمـــر مكرم : الحقـيقة احنا افـتكرناك مغمـوم على رحيل الفرنساويه مثلا . .

الجـــبـــرتي : حاشالله . . أناحـزين على رجوعنا فى أسر العثماللى . .

المحـــــروقـى : ولايكون عندك كرب لرحيل الإنجليز . .

الجـــبـــرتي : رفقا يا محروقى وأنـت كمان . . أنا مسرور لأن الإنجليز طعلوا ونفذوا الاتفاقية . . لكن حيـفضلوا من هنا ورايـح ورا كل الأحداث لأنهم رموا عينهم على بر مصر خلاص . .

عـــمـــر مكرم : أصبحنا سداح مداح لكل طامع . .

الجـــبـــرتي : مـا باليد حـيله . . هذا قـدرنا وموقـفنا من أحداث العالم ومطاحنات الدول . .

عـــمـــر مكرم : ما عـدش عندنا غيـر عزيمة الأهالى . . بس هيه فين ؟!

المحـــــروقـى : أنا سامع أن الأهالى بيعدوا والزيطه كبيره . .

الجـــبـــرتي : بتقول فيـها . . خد عندك . . الطبل والزمر ابتدا يتشغل . .

المحـــــروقـى : أنا شايف أن الفرنساويه مـا سابوش أثر كبير

على البلـد .. حتى كتبهم وعلومهم ومعارفهم .. خدوها معاهم .

عمر مكرم : لا يا محروقى .. فيه عظة كبيره من آثار حملتهم ..

الجبرتى : أى عظه .. يا سيد عمر ..

عمر مكرم : أن شعب مصر دايما بيفتدى أرض بلاده .. وأنه أصبح مركوزا فى ذهنه ألا يحكم حاكم على غير إرادته ..

المحروقى : طب وإيه رأيك فى الزيطة اللى هما عاملينها ..

الجبرتى : هذه أفعال موقوته يا سيد محروقى .. لكنها لا وزن لها فى مجمل أحداث التاريخ الكبرى ..

عمر مكرم : صدقت يا جبرتى ..

المحروقى : تعالوا نتفرج على الهيصة اللى بره .. **(ويتجهون إلى ناحية تجمع الأهالى أمام شرفة البيت .. وتختم اللوحة بهيصة الأهالى من الراقصين والمداحين وكل ما عرض من مظاهر احتفالية فى اللوحات السابقة).**

ستار نهائى

إظلام

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢١٣٤ / ٢٠٠٢



قبل أن يرحل نعمان عاشور عن عالمنا بشهرين ، كان قد أكمل مسرحيته الأخيرة « حملة تفوت ولا شعب يموت » عن فترة الاحتلال الفرنسى لمصر والمقاومة الشعبية بقيادة شيوخ وعلماء الأزهر ، وبعد أن انتهى مما شغل فكره ووجدانه فى هذه المسرحية ، استراح من عناء رحلة طويلة ترك فيها ما يضىء خشبات مسارحنا بعد أن حاصرته المرارة بما وصل إليه حال المسرح المصرى .

المجلس الأعلى للثقافة